سورة المائدة

مدنية بناء على المشهور من أن المدنيّ ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة . وآياتها مائة وعشرون آية ، أو مائة وثنتان وعشرون آية ، أو مائة وثلاث وعشرون آية .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) ﴾

اللغة :

(وفى) بالوعد وفاء ، وأوفى به إيفاء : أي أتى به تاماً لا نقص فيه . وقد جمع بينهما الشاعر :

أما ابن طوف فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

ويقال لمن لم يوف الكيل : أخسر الكيل ، ولمن لم يوف العهد : غدر ونقض . ونقض العهد والوعد ، وهما شيء واحد .

(العقود) : جمع عَقْد بالفتح ، وهو مصدر استعمل اسماً فجمع ، وهو العهد الموثق شبه بعقد الخيل ونحوه ، قال الحطيئة :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم

شدّوا العِناج وشدّوا فوقها الكَرَبا

وهو في الأصل موضوع للأجسام الصلبة ، كعقد الحبل وعقد البناء ، ثم يستعار ذلك للمعاني ، نحو عقد البيع والعهد وغيرهما ، فالعقد أخصّ من العهد ، والمراد بالعقود ما يتعاقدون عليه •

(البهيمة) كل ذات أربع في البر والبحر ، وقيل : مالا نطق له ، وذلك لما في صوته من الإبهام ، ولكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير ، قاله الراغب • وروي عن الزجّاج أن البهيمة من الحيوان ما لا عقل له مطلقاً • وفي القاموس : البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء ، أو كل حيّ لا يميز ، جمعه بهائم •

(الأنعام) : هي الإبل والبقر والغنم والجواميس • وإضافة بهيمة الى الأنعام للبيان • كشجر الأراك • أي : أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام • وذهب بعضهم الى أن الاضافة على معنى التشبيه ، أي : أحلت لكم البهيمة المشابهة للأنعام ، قيل : في الاجترار وعدم الأنياب ، والأولى أن يقال : إن وجه الشبه المقتضي للحل هو كونها من الطيبات التي هي الأصل في الحلّ • وقال الحريري في درة الغواص : « ومن ذلك أنهم يظنون الأنعام بمعنى النَّعَم ، وقد فرقت العرب بينهما فجعلت النعم اسماً للإبل خاصة ، أو للماشية التي هي فيها ، وجعلت الأنعام اسماً لأنواع المواشي • حتى إن بعضهم أدخل فيها الظباء وحمر

الوحش تعلقاً بقوله تعالى : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » . وقال الراغب: النعم يختص بالإبل ، وجمعه أنعام . سميت بذلك لأنها من أعظم النعم عندهم . لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل » . وقال ابن برّي : هو من التغليب ، إذ غلبوا النعم على غيرها ، ولا فرق بينهما في الحقيقة وكونها شاملة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) كلام مستأنف مسوق للقيام بموجب العقد . وقد تقدم اعراب النداء . وأوفوا فعل أمر وفاعل ، وبالعقود جار ومجرور متعلقان بأوفوا (أحلت لكم بهيمة الأنعام) الجملة مفسرة لأنها تفصيل بعد الإجمال ، بناء على أن العقود شاملة لجميع الاحكام التي شرعها الله تعالى ، وأمر المكلفين بالإيفاء بها وأحلت فعل ماض مبني للمجهول ، ولكم متعلقان بأحلت ، وبهيمة نائب فاعل ، والانعام مضاف اليه (إلا ما يتلى عليكم غير محلّي الصيد وأنتم حرم) إلا أداة استثناء ، وما مستثنى ، قيل : هو منقطع ، لأن اللفظ ليس من جنس البهيمة ، والتحريم لما طرأ من الموت ونحوه ، وجملة يتلى عليكم صلة الموصول ، وغير حال من ضمير « لكم » ، ومحلي مضاف الى « غير » والصيد مضاف الى « محلي » ، وجملة وأنتم حرم من المبتدأ والخبر حال من « محلي الصيد » كأنه قيل : أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يكون عليكم حرج (إن الله يحكم ما يريد) الجملة تعليل للحكم ، وإن واسمها ، وجملة يحكم خبرها ، وما يجوز أن تكون مصدرية أو موصولة ، وهي على كل حال منصوبة بنزع الخافض ، أي : يحكم بإرادته ، أو بالذي يريده ، ولا عبث في أحكامه ولا خلل ولا ظلم .

الفوائـد :

أفاض العلماء والمفسرون في ذكر المقصود من العقود ، وعندنا أنها عامـة شاملة لكل عهود الله التي عهـد بها الى عباده من عبادات ومعاملات ، بها انتظام أمر الدنيا والآخرة معاً ، وجميل قول الراغب : « العقود باعتبار المعقود والعاقد ثلاثة أضرب : عقد بين الله تعالى وبين العبد ، وعقد بين العبد ونفسه ، وعقد بين العبد وغيره من البشر » . وقد توسّع الفقهاء وعلماء التشريع فيها ، ووضعوا المصنفات الطويلة بصددها ، وتناولوا الاحكام الشرعية فيها ، مما يسهل إليه الرجوع في مظانه .

جملة بليغة :

والأساس الذي تنهض عليه العقود في الاسلام هو هذه الجملة البليغة المختصرة المفيدة ، وهي « أوفوا بالعقود » وهي تفيد بقوة ورشاقة أنه يجب على كل مؤمن أن يفي بما عقده وارتبط به ، وليس لأحد أن يقيّد ما أطلقه الشارع إلا بنص منه ، فكل قول أو فعل يعدّه الناس عقداً فهو عقد يجب أن يوفوا به ، كما أمر الله تعالى ، ما لم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام ، مما ثبت في الشرع ، كالعقد بالإكراه ، أو على إحراق دار أحد أو شجرة بستان ، أو على الفاحشة ، أو على أكل شيء من أموال الناس بالباطل ، كالربا والميسر والرشوة .

العرف والتراضي :

وينتظم في ذلك جميع الأمور الدنيوية كالبيع والإجارة والشركات

وغيرها من المعاملات الدنيوية ، فالاصل فيها عرف الناس وتراضيهم ما لم يخالف حكم الشرع ، وهذا في منتهى الوضوح والإحكام . هذا وقد صنّف شيخ الاسلام ابن تيمية كتاباً سماه « مدارك القياس » في موضوع العقود استوفى فيه هذا الموضوع ، مؤيداً بدلائل الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، فليرجع اليه من شاء .

رواية عن الفيلسوف الكنديّ :

ذكروا أن الكندي الفيلسوف قال له أصحابه : أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن . فقال : نعم أعمل مثل بعضه . فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة ، فنظرت فاذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث ، وحلّل تحليلاً عاماً ، ثم استثنى استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ، لا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد . أي مجلدات كثيرة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ

وَالتَّقْوَى ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)

اللغة :

(الشعائر) : جمع شعيرة ، وهي العلامة . ثم جعلت علامة لشعائر الحجّ ومناسكه .

(الهدي) ما يهدى الى الكعبة ليذبح هناك ويتقرب به الى الله ، قال :

يقولون : من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا إنني لغريب

(القلائد) : جمع قلادة وهي ما يعلق في العنق . وكانوا يعلقون في أعناق الابل من الهدي نعلاً أو حبلاً أو عروة مزادة أو لحاء شجر وغيره ليعرف ، فلا يتعرض له أحد . فهو على حذف مضاف ، أي : ولأصحاب القلائد .

(آمّين) بتشديد الميم المكسورة ، أي : قاصدين .

(يجرمنكم) : مضارع جرمه الشيء إذا حمله عليه وجعله يجرمه أي يكسبه ويفعله ، وهو يجري مجرى « كسب » في تعديه الى مفعول واحد واثنين .

(الشنآن) : شدة البغض . يقال : شنئت الرجل أشنؤه ، أي : أبغضه . وهذا المصدر سماعي مخالف للقياس من وجهين : تعدي فعله

وكسر عينه ، لأنه لا ينقاس إلا في مفتوحها اللازم • وله مصادر كثيرة ، أنهاها بعضهم الى ثلاثة عشر مصدراً ، وأشهرها : شَنْئاً وشُنْئاً وشِنئاً وشَنْأة وشَنْآناً وشَنَآناً ومَشْنأً ومَشْنَأة ومَشْنُوءة •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يا أيها الذين آمنوا تقدم اعرابها كثيراً ، ولا ناهية وتحلوا مضارع مجزوم بها والواو فاعل وشعائر الله مفعول به (ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام) ولا الشهر الحرام عطف على شعائر ، والحرام صفة للشهر ، وهو شهر الحج ، وهو ذو القعدة ، وأكد الطبري أنه رجب • وما بعده عطف عليه أيضاً • ولا آمّين أي : ولا تحلوا قوماً آمّين ، فهو صفة لموصوف محذوف ، والمعنى : لا تحلّوا قتالهم ما داموا قاصدين البيت الحرام • وهذا رمز للسلام الذي نادى به القرآن • والبيت مفعول لآمّين لأنه اسم فاعل (يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً) الجملة حال من الضمير في « آمّين » أي : حال كون الآمّين مبتغين فضلاً • وفضلاً مفعول به ، ومن ربهم متعلقان بيبتغون ، أو بمحذوف صفة لـ « فضلاً » ورضواناً معطوف عليه (وإذا حللتم فاصطادوا) الواو عاطفة ، واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة حللتم في محل جر بالإضافة ، والفاء رابطة لجواب إذا ، واصطادوا فعل أمر والواو فاعل ، والمعنى : واذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) الواو حرف عطف ، و لاناهية ، ويجرمنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا ، والكاف مفعوله الأول ،

وشنآن قوم فاعل ، وأن صدوكم مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض وهو علة للشنآن متعلق به،وعن المسجد جار ومجرور متعلقان بصدوكم، وأن تعتـــدوا مصدر مؤول مفعول به ثان ليجرمنكــم ، والمعنى : ولا يكسبنكم بغض قوم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء ولا يحملنكم عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) الواو عاطفة ، وتعاونوا فعل أمر والواو فاعل ، وعلى البر متعلقان بتعاونوا ، والتقوى عطف على البر (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتعاونوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين مجزوم بلا ، أي : لا تتعاونوا ، وعلى الإثم متعلقان به ، والعدوان عطف عليه (واتقوا الله إن الله شديد العقــاب) عطف أيضاً ، وجملة إن واسمها وخبرها لا محل لها لأنها تعليلية .

الفوائــد :

كانت العرب مجمعة على تعظيم ذي القعدة وذي الحجة ، ومختلفة في رجب ، فشدّد تعالى أمره . وهذا هو وجه التخصيص بذكره . وقيل الشهر مفرد محــلّى بأل الجنسية ، فالمراد عموم الأشهر الحرم ، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ

فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

اللغـة :

(أُهلّ لغير الله) : الإهلال رفع الصوت به لغير الله ، وهو قولهم عند ذبحه : « باسم اللاّت والعزّى » ويقال : « أهلّ فلان بالحج » إذا رفع صوته بالتلبية . ومنه : « استهلّ الصبيّ » إذا رفع صوته بالبكاء عند الولادة .

(المنخنقة) قـال صاحب القاموس : خنقـه خنقاً ككتف فهو خنق ، و انخنقت الشاة بنفسها ، ولا يسري عـلى هذا الفعـل حكم المطاوعة ، وإنما المطاوع هو اختنق ، وعلى هذا تشمل المنخنقة التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب ، ولهذا تفصيل في كتب الفقه .

(الموقوذة) : هي التي أثخنوها ضرباً بعصا أو حجر غير محدّد حتى ماتت . قال في القاموس : الوقْذ : شدة الضرب . وقال في شرحه تاج العروس : الموقوذة هي التي تقتل بعصا أو بحجارة لا حدّ لها حتى انحلّت قواها وماتت . ولا يخفى ما في الوقذ من تعذيب للحيوان.

(المتردية) : هي التي تردّت من مكان مرتفع فماتت •

(النطيحة) هي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح •

وسيأتي بحث ممتع عن هذه الصيغة في باب الفوائد •

(ذكيتم) أي أدركتم ذكاته ، وهو يضطرب وتشخب أوداجه • والذكاة والتذكية في أصل اللغة إتمام فعل خاص ، يقال : ذَكَت النار تذكو ذُكُوًّا وذَكًا وذَكَاء إذا تم اشتعالها ، وذكت الشمس إذا اشتدت حرارتها ، وذكى وذكي كرمى ورضي تمت فطنته ، قال في اللسان : « والذكاء شدة وهج النار ، يقال : ذكيت النار إذا أتممت إشعالها ورفعتها ، والذكا : تمام إيقاد النار ، مقصور يكتب بالألف » والذكاء في الفهم أن يكون فهماً تاماً سريع القبول •

(النصب) : قال الراغب في مفرداته : نصب الشيء وضعه وضعاً ناتئاً كنصب الرمح والبناء والحجر ، والنّصيب : الحجارة تنصب على الشيء ، وجمعه نصائب ونُصُب بضمتين ، وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها ، قال : « كأنّهم إلى نُصُب يُوفِضون » وقد يقال في جمعه أنصاب • وقال في اللسان : « والنَّصْب بالفتح والنُّصْب بالضم والنُّصُب بضمتين الداء والبلاء والشرّ وفي التنزيل : « مسّني الشيطان بنُصْبٍ وعذاب » والنَّصِيبة والنُّصُب بضمتين كلّ ما نصب فجعل علماً ، فالنصب مفرد وجمع ، قال الأعشى :

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تعبدنّهُ
لعاقبة واللهَ ربّكَ فاعبدا

واستعماله اليوم للنصب التذكاري سليم لا غبار عليه •

(الأزلام) جمع زلم بفتحتين وكصرد أي بضم ففتح : قِدْح صغير لا ريش له ولا نصل ، وهي سهام كانوا يستقسمونها في الجاهلية، جمعه أزلام ، كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً من معاظم الأمور ضرب بالقداح أي أجالها ، وكانت ثلاثة مكتوب على إحداها : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي ، والثالث غفل . ليس عليه شيء . فإن خرج الآمر مضى لطيته ، أي : لنيته التي انتواها ، وإن خرج الناهي لم يفعل وأمسك ، وإن خرج الغفل أعاد الاستقسام .

(المخمصة) : المجاعة .

(متجانف) : منحرف مائل ، من الجنف وهو الميل والجور .

الاعراب :

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) كلام مستأنف مسوق لبيان ما أجمله في السابق وهو قوله تعالى : « إلا ما يتلى عليكم » . وحرمت فعل ماض مبني للمجهول وعليكم متعلقان بحرمت ، والميتة نائب فاعل ، والدم ولحم الخنزير معطوفان على الميتة (وما أهل لغير الله به) عطف أيضاً ، وما اسم موصول ، وأهل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هو ، والجملة صلة الموصول ، ولغير الله متعلقان بأهل ، وبه متعلقان بأهل أيضاً (والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع) كلها معطوفة داخلة في حكم المحرمات (إلا ما ذكيتم) إلا أداة استثناء وما اسم موصول مستثنى متصل منصوب ، وجملة ذكيتم صلة الموصول ، وجملة الاستثناء حالية (وما ذبح على النصب)

الجملة معطوفة على المحرمات (وأن تستقسموا بالأزلام) المصدر المؤوّل معطوف أيضاً ، أي وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام (ذلكم فسق) مبتدأ وخبر ، والجملة مستأنفة ، واسم الاشارة راجع الى الاستقسام بالأزلام خاصة ، وقيل : الى جميع ما تقدم (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) اليوم ظرف زمان متعلق بيئس ، وأراد به مطلق الحال ، لا يوماً بعينه ، على حد قول أبي العلاء المعري :

الآن لما ابيضّ مسربتي وعضضت من نابي على جذم

حلبت هذا الدهر أشطره وأتيت ما آتي على علم

فقوله : « الآن » أراد به الزمان الحاضر ، والمسربة : شعر الصدر ، وهو آخر ما يشيب من الانسان ، فبياض المسربة كناية عن بلوغه غاية الشوط في الشيب ، وخاتمة المطاف في العمر . ومعنى البيتين : صارت عادتي أني أفعل ما أفعله على علم عندي من طول تجربتي لحوادث الدهر ، والجملة مستأنفة ، والذين اسم موصول فاعل وجملة كفروا صلة ، ومن دينكم متعلقان بيئس ، أي : من إبطال أمر دينكم (فلا تخشوهم واخشون) الفاء الفصيحة ، ولا ناهية ، وتخشوهم فعل مضارع مجزوم بلا ، واخشوني فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها (اليوم اكملت لكم دينكم) اليوم ظرف زمان متعلق بأكملت ، ولكم متعلقان بها أيضاً ، ودينكم مفعول به لأكملت ، والجملة مستأنفة (وأتممت عليكم نعمتي) عطف على ما تقدم ، وعليكم متعلقان بأتممت ونعمتي مفعول به لأتممت (ورضيت لكم الاسلام ديناً) الواو استئنافية ، ورضيت فعل وفاعل ، لكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « ديناً » ، وديناً مفعول به أو تمييز ، لأن معنى رضيت جعلت . وإذا كانت بمعنى الرضا كانت « ديناً » حالاً من

الاسلام ولكم متعلقان برضيت (فمن اضطر في مخمصة) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، واضطر فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ونائب الفاعل هو يعود على من ، وفي مخمصة متعلقان باضطر (غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) غير متجانف نصب على الحال ولإثم جار ومجرور متعلقان بمتجانف ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن واسمها وخبراها ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من ».

الفوائد :

صيغة « فعيل » اذا كانت بمعنى مفعول يستوي فيها المذكر والمؤنث ، فلا تلحقها علامة التأنيث ، إذ تقول العرب : عين كحيل لا كحيلة ، وكف خضيب لا خضيبة ، فكيف لحقت التاء « نطيحة » وهي بمعنى منطوحة ؟ وقد قيل في الجواب : إن التاء هنا للنقل من الوصفية الى الاسمية ، أو إن فعيلاً هنا بمعنى فاعل ، كأنه قال : والناطحة التي تموت بالنطاح ، أي تنطح غيرها ، وغيرها ينطحها ، فتموت . وقال الكوفيون : إنما يمتنع إلحاق التاء بفعيل بمعنى مفعول اذا كان وصفاً لموصوف مذكور ، كعين كحيل ، فأما اذا لم يسبق للموصوف ذكر فلا يمتنع إلحاق التاء . وهذا تعليل جميل ، فإن «ذبيحة» و«نطيحة» ونحوهما اذا لم يسبقهما موصوف لم يعلم: أهي مذكر أم مؤنث؟ مثل : رأيت جريحة ، أما اذا علم فلا ، نحو : رأيت امرأة جريحاً ، أو رأيت جريحاً ملقاة في الطريق .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا

عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)

اللغة :

(الجوارح) : الكواسب من سباع البهائم والطير ، كالكلب والعقاب .

(مكلبين) : المكلّب اسم مفعول من كلّب ، أي : المضرى بالصيد من هذه الجوارح ، والمروّض منها على الافتراس ، لأن الترويض أكثر ما يكون للكلب ، فاشتقّ من لفظه لشيوع الغلبة عليه .

الاعراب :

(يسألونك ماذا أحل لهم) جملة مستأنفة مسوقة للاجابة عن سؤالهم : ماذا أحل لهم ؟ ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وماذا : تقدم أن لنا في اعرابها وجهين : إما أن نجعل ماذا كلها اسم استفهام مبتدأ ، وجملة أحل لهم خبره ، وإما أن نجعل ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر ، وجملة أحل لهم صلة الموصول . والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني ليسألونك ، وقد نصوا على أن فعل السؤال يعلّق عن العمل وإن لم يكن من أفعال القلوب ، لأنه سبب العلم ، فكما يعلق العلم فكذلك يعلق سببه (قل : أحل لكم

الطيبات) جملة قل استئنافية ، وجملة أحل لكم الطيبات في محل نصب مقول القول ، ولكم متعلقان بأحل والطيبات نائب فاعل (وما علمتم من الجوارح مكلّبين) الواو عاطفة ، وما اسم موصول معطوف على الطيبات ، وجملة علمتم صلة الموصول ، ومن الجوارح متعلقان بمحذوف حال ، وفي صاحبها وجهان : أحدهما اسم الموصول وهو « ما » ، والثاني أنه العائد المحذوف على اسم الموصول ، أي : علمتموه. ومكلبين حال من علمتم ، أفادت أن التعليم يحتاج الى الخبرة التامة والمقدرة المتناهية ، وأن على المتعلم أن يأخذ العلم عن أربابه الأكفياء . وأجاز بعضهم أن تكون الواو استئنافية وما شرطية في محل رفع على الابتداء ، وجواب الشرط هو فكلوا ، وهو اعراب سائغ (تعلمونهن مما علمكم الله) جملة تعلمونهن حال ثانية أو استئنافية ، ومما متعلقان بتعلمونهن ، وجملة علمكم الله صلة الموصول . ومفعولا علمتم وتعلمونهن الثانيين محذوفان ، والتقدير : وما علمتموه طلب الصيد لكم لا لأنفسهن ، تعلمونهن ذلك (فكلوا مما أمسكن عليكم) الفاء الفصيحة أو رابطة لجواب الشرط على الاعراب الثاني ، ومما متعلقان بكلوا ، وجملة أمسكن صلة « ما » وعليكم متعلقان بأمسكن (واذكروا اسم الله عليه) الواو عاطفة ، والجملة عطف على جملة فكلوا ، وجملة فكلوا لا محل لها ، أو في محل جزم جواب الشرط (واتقوا الله إن الله سريع الحساب) عطف على ما تقدم ، وإن واسمها وخبرها .

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)

اللغة :

(حل) : مصدر بمعنى حلال ، فلا يثنى ولا يجمع .

(محصنين) : أعفاء ، أحصنوا أنفسهم بالزواج ، ولم يتطلعوا الى الزنا فعلاً ولا قصداً .

(أخدان) : جمع خِدْن بكسر الخاء ، وهو يقع على المذكر والمؤنث .

الاعراب :

(اليوم أحل لكم الطيبات) كلام مستأنف مسوق لتكرير ذكر الطيبات التي أحلت لكم يوم السؤال عنها ، أو اليوم الذي أكملت لكم دينكم . وقيل : ليس يوماً معيناً . واليوم ظرف زمان متعلق بأحل ، وأحل فعل ماض مبني للمجهول ، ولكم متعلقان بأحل ، والطيبات نائب فاعل (وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم وطعامكم حلٌ لهم) الواو استئنافية ، وطعام مبتدأ ، والذين مضاف اليه ، وأوتوا فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل ، والكتاب مفعول به ثان ، والجملة صلة

الموصول ، وحل خبر طعام ، ولكم متعلقان بحل ، وطعامكم حل لهم عطف على ما تقدم (والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الواو استئنافية أو عاطفة ، والمحصنات مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله ، أي : حلٌ لكم ، ومن المؤمنات متعلقان بمحذوف حال من المحصنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم عطف على ما تقدم ، ومن قبلكم متعلقان بمحذوف حال (إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) الظرف إذا متعلق « بحل » المحذوفة ، آتيتموهن فعل ماض وفاعل ومفعول به أول ، والجملة في محل جر بالإضافة ، وأجورهن مفعول به ثان ، ومحصنين حال وغير مسافحين حال ثانية ، ولا متخذي أخدان عطف على مسافحين (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويكفر فعل الشرط ، وبالايمان متعلقان بيكفر ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، وحبط عمله فعل وفاعل ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (وهو في الآخرة من الخاسرين) الواو حرف عطف وهو مبتدأ وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال ومن الخاسرين متعلقان بمحذوف خبر « هو » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ

صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)

اللغة :

(المرافق) : جمع مرفق بكسر الميم وفتح الفاء ، وبفتح الميم وكسر الفاء ، وهو الموصل بين الساعد والعضد . وجمعه وثنّى الكعبين لأن للانسان مرفقاً واحداً في كل يد ، فناسب أن يذكر بالنسبة للجميع بالجمع ، بعكس الكعبين فان الكعبين هما العظمان الناشزان من جانبي القدم ، فناسب أن يذكر الاثنان من كل رجل . وسبب آخر وهو أن جمع المرفق لفظ مأنوس في الكلام ، أما جمع الكعب فهو لفظ لا يحلو ذكره في الكلام ، إذ يجمع على كعاب وكعوب وأكعب ، وهذا أمر مردّه الى الذوق وحده .

(الغائط) : المطمئن من الأرض والمنخفض منها ، ويقصد به هنا قضاء الحاجة كما سيأتي في باب البلاغة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعرابها (إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام الوضوء لأداء فريضة الصلاة ، وهي أعظم الطاعات بعد الايمان . وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط متعلق بقوله فاغسلوا، وجملة قمتم في محل جر بالإضافة، والى الصلاة متعلقان بقمتم، والفاء رابطة، وجملة اغسلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ووجوهكم مفعول به (وأيديكم الى المرافق) وأيديكم عطف على وجوهكم ، والى حرف جر يدل على معنى الغاية والانتهاء مطلقاً ، ودخولها في الحكم وخروجها منه أمر يدور مع الدليل ، فمما فيه دليل على الخروج قوله تعالى : « فنظرة الى ميسرة » لأن الإعسار علة الإنظار ، وبوجوذ الميسرة تزول العلة ، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منتظراً في كلتا الحالين معسراً وموسراً . وكذلك « ثم أتموا الصيام الى الليل » ولو دخل الليل لوجب الوصال . ومما فيه دليل على الدخول قولك : حفظت القرآن من أوله الى آخره ، لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله . ومنه في القرآن : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » ومعلوم أنه لا يسري به الى بيت المقدس من غير أن يدخله . وقوله تعالى : « إلى المرافق » و « إلى الكعبين » لا دليل فيه على أحد الأمرين ، فأخذ العلماء بالأحوط ، فحكموا بدخولها في الغسل . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وامسحوا برءوسكم) عطف على ما تقدم . وقد كثر الاختلاف حول هذه الباء ، فقال بعضهم هي زائدة ، وقال بعضهم : هي للتبعيض ، كقول عمر بن أبي ربيعة :

فلثمت فاها آخذاً بقرونها ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقال بدر الدين بن مالك : وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس . وأنكر ذلك محب الدين أبو البقاء العكبري ، وقال الشيخ شهاب الدين القرافي : اذا قلت : مسحت بالمنديل ، وكتبت

بالقلم ، وطفت بالبيت ، فمن المعلوم أنك ما مسحت بكل المنديل ، ولا كتبت بكل القلم ، ولا طفت بكل البيت ، علواً وسفلاً ، وظهراً وبطناً ، وإنما مسحت ببعض ذا وكتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا ، واختار ابن هشام والزمخشري أن تكون الباء للإلصاق ، وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه . وقد أخذ مالك وأحمد بالاحتياط فأوجبا الاستيعاب ، وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح ، وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما روي أنه مسح على ناصيته ، وقدّر الناصية بربع الرأس . وإنما أطلنا في هذا البحث لطرافته ، ورياضته للذهن . والجار والمجرور متعلقان بامسحوا ، وسيأتي مزيد بحث عنه . (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب : وأرجلكم ، بالفتح ، أي : واغسلوا أرجلكم الى الكعبين ، وهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق من الجانبين ما وقرأها الباقون : ابن كثير وحمزة وأبو عمرو بالجر ، والظاهر أنه عطف على الرأس ، أي : وامسحوا بأرجلكم الى الكعبين . ومن هنا اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما ، فجماهير أهل السنة على أن الواجب هو الغسل وحده ، والشيعة والإمامية أنه المسح . وقال داود بن علي والناصر للحق من الزيدية : يجب الجمع بينهما . وقد رأى ابن جرير الجمع بين القولين للاحتياط . وقد عللوا تأخيره في قراءة النصب بأن صب الماء مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه ، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها . وقد أطالوا في التخريج والتأويل إطالة لا يتسع لها صدر هذا الكتاب ، وهي ناشئة عن الولع بالتحقيق والوصول الى ما هو أجدى وأسلم ، ولهذا جنح ابن جرير الى الجمع ، وفيه من حسن النية ، وسلامة الطوية

الشيء الكثير . (وإن كنتم جنباً فاطّهّروا) الواو عاطفة ، وإن شرطية، وكنتم كان واسمها ، وهي فعل الشرط ، وجنباً خبر كنتم ، وجملة اطهروا جواب الشرط (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) الواو عاطفة وإن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسمها ومرضى خبرها ، أو حرف عطف ، وعلى سفر متعلقان بمحذوف خبر ثان لكنتم ، وجاء عطف على كنتم ، وأحد فاعل جاء منكم متعلقان بمحذوف صفة لأحد ، ومن الغائط متعلقان بجاء ، وأو حرف عطف ، ولامستم النساء عطف على ما تقدم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) الفاء حرف عطف ولم تجدوا عطف أيضاً ، وماء مفعول به ، والفاء رابطة لجواب الشرط وجملة فتيمموا صعيداً في محل جزم جواب الشرط ، وطيباً صفة (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) عطف على ما تقدم ، ومنه متعلقان بامسحوا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة من شرائع الدين . وما نافية ، يريد الله فعل وفاعل ، واللام للتعليل ، ويجعل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، وأن المضمرة والفعل المضارع مصدر مؤول مفعول يريد والجعل إما بمعنى الايجاد والخلق فيتعدى لمفعول به واحد ، وعليكم متعلقان به ، ومن حرف جر زائد ، وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول بجعل ، وإما من الجعل ، أي : التصيير ، فيكون عليكم هو المفعول الثاني (ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك وهي هنا مهملة لأنها مخففة ويريد فعل مضارع ، وفاعله هو واللام للتعليل ، ويطهركم منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بيريد . وليتم نعمته عليكم عطف عليه ، ولعل واسمها ، وجملة تشكرون في محل رفع خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغـة :

الكناية في قوله تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط » فالمجيء من الغائط ـ وهو المطمئن أو المنخفض من الأرض ـ كناية عن الحدث، جرياً على عادة العرب ، وهي أن الانسان منهم إذا أراد قضاء حاجة قصد مكاناً منخفضاً من الأرض وقضى حاجته فيه .

الفوائـد :

اشتملت آية الوضوء على فوائد هامة لا يجوز إغفالها ، ونشير اليها فيما يلي :

١ ـ استغنى ببناء القلة في قوله : « وأرجلكم » عن بناء الكثرة لأنها لم يستعمل لها بناء كثرة ، وقد يستغني ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة وضعاً واستعمالاً اتكالاً على القرينة . وقد وضع الشاطبي قاعدة جميلة نلخصها فيما يلي : « وحقيقة الوضع أن تكون العرب لم تضع أحد البناءين استغناء عنه بالآخر ، والاستعمال أن تكون وضعتهما معاً ، ولكنها استغنت في بعض المواضع عن أحدهما بالآخر ، فالأول : كأرجل جمع رجل ، وأعناق جمع عنق ، وأفئدة جمع فؤاد ، قال تعالى : « وأرجلكم الى الكعبين » ، « فاضربوا فوق الأعناق » ، « وأفئدتهم هواء » ، فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء الكثرة ، لأنها لم يوضع لها بناء كثرة . والثاني : كأقلام .

٢ ـ لا شك في أن من أمر غيره بأن يمسح رأسه كان ممتثلاً بفعل ما يصدق عليه مسح ، وليس في اللغة ما يقتضي أنه لا بد في مثل

هذا الفعل من مسح جميع الرأس ، وهكذا سائر الأفعال المتعدية ، نحو : اضرب زيداً أو اطعنه ، أو ارجمه . فإنه يوجد المعنى بوقوع الضرب أو الطعن أو الرجم على عضو من أعضائه ، ولا يقول قائل من أهل اللغة أو من هو عالم بها : إنه لا يكون ضارباً إلا بإيقاع الضرب على كل جزء من أجزاء زيد ، وكذلك الطعن والرجم وسائر الافعال .

٣ ـ قال تعالى : « إذا قمتم الى الصلاة » ، وفي الجنابة « وإن كنتم مرضى » لأن « إذا » تدخل على كائن أو منتظر لا محالة ، «وإنْ» تدخل على أمر ربما كان وربما لا يكون . والقيام الى الصلاة ملازم والجنابة ليست بملازمة ، فإنها قد توجد وقد لا توجد . ولهذا درج المفسرون على تفسير « إذا قمتم » أي : إذا أردتم القيام ، من إقامة المسبب مقام السبب ، والقيام متسبب عن الإرادة ، والارادة سببه .

٤ ـ من طريف الأبحاث اختلاف العلماء في دخول المرفق في الغسل ، فقال قوم : إن المرفق داخل في مسمى اليد ، لأن اليد من رأس الأنامل الى الإبط . وهذا ينتقض بقولك : نمت البارحة الى نصفها ، ولا يجوز أن يقال : إنه نام البارحة كلها . وقال الجمهور بغسل المرفقين مع اليدين ، وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين . وهذا الخلاف أيضاً في الكعبين ، حجة زفر أن « إلى » لانتهاء الغاية ، والمنتهى غير النهاية ، فلا يتعين غسل النهاية . والجواب من وجهين :

آ ـ الأول مذهب الزجاج : قال : سلمنا أن المرفق لا يجب غسله ، لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم ، فإنه هو المكان الذي يرتفق به ، أي يتكأ عليه . ولا نزاع في أن ما وراء أطراف العظم لا يجب غسله .

ب ـ الثاني : أن حد الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود ،

كقوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » فإن النهار منفصل عن الليل في الحس ، وقد لا يكون منفصلاً ، كقولك : بعتك هذا الثوب من هنا الى هنا . فهذا الحد غير منفصل ، ولا شك في أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلاً معيناً ، واذا كان كذلك فليس إيجاب الغسل الى حيز أولى من ايجابه الى حيز آخر ، فوجب القول بغسل كل المرفق . وقال بعضهم : النهاية غير المتناهي ، وغسل المرافق لم يفهم من الآية الكريمة ، وإنما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا لو قلت : بعتك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة ، لم تدخل الغاية ها هنا . واذا قلت : بعتك من هذا الحائط الى هذا الحائط ، دخل الحائطان في المبيع . والفرق بينهما أن الغاية في الأولى من جنس ما دخلت فيه فهي خارجة عنه ، وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل . وفي الثانية أن الغاية خارجة ، لأن الحائط ليس من جنس البستان ، فلهذا دخل الحائطان في المبيع . ألا ترى أن قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أدبر النهار من ها هنا ، وأقبل الليل من ها هنا ، فقد أفطر الصائم » فاعتبر دخول الليل لأنه خارج عن النهار .

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ

قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

الاعراب :

(واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به) الواو الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتذكير المؤمنين بنعمه عليهم وميثاقه الذي واثقهم به . واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بنعمة وميثاقه عطف على نعمة الله ، والذي صفة لميثاق وجملة واثقكم به صلة الموصول (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بواثقكم ، وجملة قلتم في محل جر بالاضافة ، وجملة سمعنا مقول القول ، وجملة وأطعنا عطف عليها (واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور) كلام مستأنف ، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية ، وذات الصدور الأمور المكنونة في الصدور (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان الأمور المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم . وكونوا فعل أمر ناقص ، والواو اسمها ، وقوامين خبرها ، ولله متعلقان بقوامين ، وشهداء خبر ثان لكونوا ، وبالقسط متعلقان بشهداء (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، ويجرمنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا ، والكاف مفعول به ، وشنآن قوم فاعل ، وعلى حرف جر ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بعلى ، والجار والمجرور متعلقان بيجرمنكم ، لأنه تضمن معنى لايحملنكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) جملة اعدلوا مفسرة ، وهو ضمير منفصل

مبتدأ يعود على المصدر المفهوم من قوله : « اعدلوا » وأقرب خبر ، والجملة مستأنفة ، وللتقوى متعلقان بأقرب (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) تقدم إعراب مثيلها قريباً .

البلاغـة :

التكرير في طلب المعدلة ، والسر فيه التأكيد على العدل والتشويق اليه . وخلاصة المعنى : لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ترك المعدلة فتعتدوا عليهم . وهـذا منتهى ما تصل اليه المثـل العليا ، والقيم الانسانية السامية .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

الاعراب :

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كلام مستأنف مسوق لبيان وعـده سبحانه ، فإن النفس الانسانية مفطورة عـلى التوجه

بالسؤال عن بيان هذا الوعد . ووعد الله فعل وفاعل ، والذين مفعول به . وجملة آمنوا صلة الموصول ، وعملوا الصالحات عطف على الصلة (لهم مغفرة وأجر عظيم) لهم الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومغفرة مبتدأ مؤخر ، والجملة يجوز أن تكون مفسرة للمفعول به الثاني المحذوف للفعل « وعد » ، وتقديره « الجنة » ، ويجوز أن تكون استئنافاً بيانياً ، كأنه قال : قوم لهم وعـد ، فقيل : أي شيء وعده ؟ فقال : لهم مغفرة وأجر عظيم . وعلى هذا لا محل لها أيضاً . ولك أن تجعلها مقولاً لقول محذوف تتضمن زيادة التقرير الموعود به والتأكيد لوقوعه . وقيل : هي جملة في محل نصب على أنها المفعول الثاني لقوله « وعد » على معنى : وعدهم أن لهم مغفرة ، أو وعدهم مغفرة . فوقعت الجملة موقـع المفرد ، فأغنت عنه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) الواو استئنافية ، والذين مبتدأ ، وجملة كفروا صلة ، وجملة كذبوا بآياتنا عطف على الصلة ، وأولئك مبتدأ ثان ، وأصحاب الجحيم خبر أولئك ، والجملة الاسمية خبر الذين (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (اذكروا نعمة الله عليكم) تقـدم اعرابهـا قريباً والجملة مستأنفة (إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) إذ ظرف للنعمة متعلق بها ، ويجوز أن يتعلق باذكروا ، وجملة همّ قوم في محل جر بالاضافة ، وأن يبسطوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بـ « همّ » ، واليكم متعلقان بيبسطوا ، وأيديهم مفعول به (فكف أيديهم عنكم) عطف على ما تقدم (واتقوا الله وعـلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو استئنافية واتقوا الله فعل وفاعل ومفعول ، وعلى الله متعلقان بتوكل ، والفاء استئنافية واللام لام الأمر ، ويتوكل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، والمؤمنون فاعل .

البلاغـة :

بسط اليد : عبارة مجازية مرسلة بعلاقة السببية ، لأن اليد سبب الإيذاء ، كما أن بسط اللسان عبارة مجازية ، علاقتها السببية .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾

اللغـة :

(نقيباً) : النقيب في القوم من ينقب عن أحوالهم ، ويبحث عن شئونهم ، وهو « فعيل » بمعنى فاعل مشتق من التنقيب، وهو التفتيش. ومنه قوله تعالى : « فنقّبوا في البلاد » ، وسمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم وأسرارهم وقيل : هو بمعنى « مفعول » كأن القوم اختاروه على علم منهم . وقيل : هو للمبالغة كعليم وخبير .

(عزرتموهم) نصرتموهم . وفي المختار : التعزير : التوقير والتعظيم .

الاعراب :

(ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لذكر بعض ما صدر عن بني إسرائيل ، وفيه تحريض للمؤمنين على ذكر نعمة الله ، ومراعاة حق الميثاق ، وتحذير من نقضه . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأخذ الله فعل وفاعل ، وميثاق مفعول به ، وبني إسرائيل مضاف اليه (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) وبعثنا عطف على أخذ ، ومنهم متعلقان بـ « نقيباً » أو حال من « اثني عشر » ، واثني عشر مفعول به لبعثنا ، ونقيباً تمييز (وقال الله إني معكم) الواو عاطفة، على طريق الالتفات، وقال الله فعل وفاعل، وإني إن واسمها، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبرها ، وإن ومافي حيزها مقول القول (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة) اللام موطئة للقسم المحذوف ، وإن شرطية ، وأقمتم فعل وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والصلاة مفعول به،وآتيتم الزكاة عطف على أقمتم الصلاة والجملة القسمية مستأنفة(وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً)عطف على ماتقدم،وبرسلي متعلقان بآمنتم،وعزرتموهم عطف أيضاً، وهو فعل وفاعل والواو لإشباع الضمة ، والهاء مفعول به ، وأقرضتم الله فعل وفاعل ومفعول به ، وقرضاً مفعول مطلق ، وحسناً صفة (لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) اللام واقعة في جواب القسم ، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم المتقدم عليه ، وعنكم متعلقان بأكفرنّ ، وسيئاتكم مفعول به ، ولأدخلنكم عطف على « لأكفرن » ، وجنات مفعول به ثان على السعة أو منصوب بنزع الخافض ، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد

ضل سواء السبيل) الفاء استئنافية . ومن شرطية مبتدأ ، وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبعد ذلك ظرف متعلق بكفر ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، وسواء السبيل مفعول ضل .

البلاغـة :

في قوله تعالى : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » استعارة تصريحية . فقد شبه الإنفاق في سبيل الله لوجهه بالقرض ، على سبيل المجاز ؛ لأنه باعطاء المستحق ماله لوجه الله ، فكأنه أقرضه إياه .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

اللغـة :

(لعناهم) : طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا .

(خائنة) : الخائنة هنا : الخيانة . والعرب تعبر بصيغة اسم الفاعل عن المصدر أحياناً وبالعكس ، فاستعملت القائلة بمعنى القيلولة ،

والخاطئة بمعنى الخطيئة . أو هي وصف لمحذوف ، إما مذكر والهاء للبالغة ، كما قالوا : راوية للشعر ، لكثير الرواية ، قال :

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنةً مُغِلَّ الإصبع

وداعية لمن جرد نفسه للدعوة الى الشيء . وإما مؤنث بتقدير : أو فرقة .

الاعراب :

(فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما أصابهم من طرد وإبعاد عن الرحمة ناشيء عن نقضهم الميثاق . والباء حرف جر ، وما زائدة لتوكيد الكلام ، ونقضهم مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بلعناهم ، وميثاقهم مفعول به للمصدر وهو النقض ، ولعناهم فعل وفاعل ومفعول به ، (وجعلنا قلوبهم قاسية) وجعلنا عطف على لعناهم ، وقلوبهم مفعول به أول ، وقاسية مفعول ثان (يحرفون الكلم عن مواضعه) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان مدى قسوة قلوبهم ، والكلم مفعول يحرفون ، وعن مواضعه جار ومجرور متعلقان بيحرفون (ونسوا حظاً مما ذكروا به) عطف على ما تقدم ، ونسوا حظاً فعل وفاعل ومفعول به ، ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ «حظاً» وجملة ذكروا به لا محل لها لأنها صلة الموصول (ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم) الواو عاطفة ، ولا تزال فعل مضارع ناقص ، والاسم مستتر تقديره أنت ، وجملة تطلع خبر لا تزال ، وعلى خائنة متعلقان بتطلع ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لخائنة ، وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من الضمير المجرور في « منهم » ، ومنهم

متعلقان بمحذوف صفة لـ « قليلاً » ، وأراد بالقليل منهم من أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (فاعف عنهم واصفح) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفت هذا فاعف عمن جاءك معلناً توبته وانضواءه تحت لواء الدين القويم ، واعف فعل أمر وعنهم متعلقان بـ « اعف » واصفح عطف على فاعف (ان الله يحب المحسنين) إن واسمها ، وجملة يحب المحسنين خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

اللغة :

(نصارى) : في مختار الصحاح : النصير : الناصر وجمعه أنصار، كشريف وأشراف ، وجمع الناصر نصر كصاحب وصحب . والنصارى جمع نصران ونصرانة ، كالندامى جمع ندمان وندمانة . ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب . وفي المصباح : ورجل نصراني بفتح النون ، وامرأة نصرانية . ويقال : إنه نسبة الى قرية اسمها نصرى ، ولهذا يقال في الواحد : نصري ، على القياس ، ثم أطلق النصراني على كل من تعبد بهذا الدين . وقال في المنجد : النصراني نسبة الى مدينة الناصرة على غير القياس : من يتبع دين السيد المسيح ، والجمع نصارى ، والمؤنث نصرانية . وقال في اللسان : ونصرى بفتحتين ، ونصرى بفتح فسكون ،

وناصرة ونَصُورية : قرية بالشام ، والنصارى منسوبون اليها ، قال ابن سيده : هذا قول أهل اللغة ، قال : وهو ضعيف ، إلا أن نادر النسب يسعه . قال : وأما سيبويه فقال : أما نصارى فذهب الخليل الى أن جمع نَصْري ونَصْران ، كما قالوا : ندمان وندامى ، ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما حذفوا من أُثْفِيَّة ، وأبدلوا مكانها ألفاً ، كما قالوا : صحارى . قال : وأما الذين نوجهه نحن عليه فإنه جاء على نَصْران لأنه قد تكلم به ، فكأنك جمعت نصراً كما جمعت مَسْمَعاً وقلت نصارى كما قلت ندامى .

(أغرينا): ألصقنا وألزمنا،وهي من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به، ومعنى الغراء الذي يلصق به،والغراء مثل كتاب،وفي المصباح:غري بالشيء غرياً من باب تعب أونع به من حيث لايحمله عليه حامل، وأغريته به إغراء فأغري به بالبناء للمفعول ، والاسم الغَرَاء بالفتح والمد والغِراء مثل كتاب : ما يلصق به ، معمول من الجلود ، وقد يعمل من السمك . والغَرا مثل العصا : لغة فيه ، وغروت الجلد أغروه من باب عدا : ألصقته بالغراء ، وأغريت بين القوم : مثل أفسدت وزناً ومعنى ، وغروت غرواً من باب قتل : عجبت ، ولا غرو : ولا عجب .

الاعراب :

(ومن الذين قالوا : إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن النصارى . والجار والمجرور متعلقان بأخذنا ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإن واسمها ، ونصارى خبرها ، وجملة أخذنا مستأنفة كما تقدم ، وميثاقهم مفعول به ، وجملة إنا نصارى مقول القول . وهناك أوجه أخرى تراها في باب الفوائد . (فنسوا حظاً مما ذكروا به) الفاء عاطفة ، ونسوا عطف على أخذنا ، والواو فاعل ، وحظاً مفعول به ، ومما متعلقان بمحذوف صفة لـ «حظاً»،

وجملة ذكروا صلة الموصول ، وبه جار ومجرور متعلقان بذكروا ، والواو نائب فاعل (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) عطف على ما تقدم ، وأغرينا فعل وفاعل ، والظرف متعلق بأغرينا ، والعداوة مفعول به ، والى يوم القيامة متعلقان بمحذوف حال ، أي : ممتدة الى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) الواو عاطفة ، وسوف حرف استقبال ، وينبئهم فعل وفاعل ومفعول به ، وبما متعلقان بينبئهم ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وجملة يصنعون خبر كانوا .

الفوائد :

أنهى بعض المعربين الأوجه التي أجازوها في هذه الآية الى وجوه منها ما اخترناه ، وهو ما ذهب اليه الزمخشري ، ولكنه جعل الضمير في ميثاقهم عائداً على بني اسرائيل ، والتقدير : وأخذنا من النصارى ميثاقاً مثل ميثاق بني إسرائيل ، وهناك وجه جدير بالذكر وهو أن يتعلق قوله : « ومن الذين » بمحذوف على أنه خبر لمبتدأ محذوف قامت صفته مقامه ، والتقدير : ومن الذين قالوا إنا نصارى قوم أخذنا ميثاقهم .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ (١٥) يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

الاعراب :

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) كلام مستأنف مسوق لخطاب أهل الكتاب عامة على طريق الالتفات، ويا حرف نداء للمتوسط، وأهل الكتاب منادى مضاف منصوب ، وقد حرف تحقيق ، وجاءكم فعل ماض ومفعول به مقدم ، ورسولنا فاعل مؤخر (يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) الجملة حالية من « رسولنا » ولكم متعلقان بيبيّن ، وكثير مفعول به ، ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » وما اسم موصول وكنتم كان واسمها ، والجملة صلة ، وجملة تخفون في محل نصب خبر كنتم ، ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من العائد المحذوف (ويعفو عن كثير) الجملة معطوفة على جملة « يبين » الحالية داخلة في حكمها (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) جملة مستأنفة مسوقة لبيان الفائدة من مجيء الرسول . ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لنور ، وتقدم عليه . ونور فاعل « جاءكم » ، وكتاب عطف على « نور » ، ومبين صفة (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) الجملة صفة لكتاب ، وبه متعلقان بيهدي ، والله فاعل ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة اتبع رضوانه صلة الموصول ، وسبل السلام مفعول به ثان على السعة ليهدي، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بيهدي (ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه) الواو عاطفة ، ويخرجهم معطوف على

يهدي ، والهاء مفعول به ، ومن الظلمات متعلقان بيخرجهم ، وكذلك الى النور ، وبإذنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ويهديهم الى صراط مستقيم) عطف على ما تقدم ، وقد تقدم اعرابه كثيراً •

البلاغــة :

في قوله تعالى : « من الظلمات الى النور » استعارتان تصريحيتان أصليتان ، يقصد بالأولى الضلال وبالثانية الهدى والايمان ، والعلاقة المشابهــة ، وقد لفظ المشبه واستعــير بدله لفظ المشبه به ، ليقوم مقامه ، بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه ، وهذا أبعد مدى في البلاغة ، وأدخل في بابها ، ولما كان المشبه به مصرحاً به في هذا المجاز سميت الاستعارة تصريحية ، وسميت أصلية لأنها جارية في الاسم • ومن الاستعارة التصريحية قول أبي الطيب :

وأقبــل يمشي في البساط فما درى

إلى البحر يسعى أم الى البدر يرتقي

فقد شبه سيف الدولة بالبحر ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحــر للمشبه وهو سيف الــدولة ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة : فأقبل يمشي في البساط ، وكذلك يقال في تشبيه سيف الدولة بالبدر •

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن

فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

اللغـة :

(يملك) : تقول العرب : ملك فلان على فلان أمره إذا استولى عليه فصار لا يستطيع أن ينفذ أمراً ولا أن يفعل شيئاً إلا به وبإذنه . قال ابن دريد في وصف الخمر التي لم يكسر المزاج حدتها ولم تبطل النار تأثيرها :

لم يملك المـــاء عليها أمرها ولم يدنّسها الضّرم المحتَضى

وقوله تعالى : « فمن يملك من الله شيئاً » أبلـغ من مثل هذا القول ، لأنه نفى أن يملك أحد بعض أمره تعالى ، فضلاً عن ملك أمره كله ، فصار المعنى أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يردّ أمره ويحوّله عن إرادته بوجه ما .

الاعراب :

(لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وكفر فعل ماض والذين فاعله ، وجملة قالوا صلة الموصول ، وجملة القسم مستأنفة ، وجملة

قد كفر لا محل لها لأنها جواب القسم ، وإن واسمها وخبرها مقول القول وهو ضمير فصل يفيد الحصر لا عمل له والمسيح خبر إن ، أو « هو » مبتدأ والمسيح خبر ، والجملة خبر إن ، وابن مريم بدل أو نعت (قل فمن يملك من الله شيئاً) الجملة مستأنفة ، وقل فعل امر وفاعله أنت ، والفاء عاطفة على جملة محذوفة هي مقول « قل » ، أي : قل تبكيتاً وإظهاراً لبطلان قولهم • ومن اسم استفهام انكاري مبتدأ ، وجملة يملك خبر ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو بيملك ، وشيئاً مفعول به (إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه) الجملة الشرطية مفسرة لا محل لها ، وإن شرطية ، وأراد فعل الشرط ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول أراد ، والمسيح مفعول به ، وابن مريم بدل أو نعت ، وأمه عطف على المسيح ، وجواب الشرط محـذوف دل عليه ما قبله ، أي : فمن يملك من الله شيئاً (ومن في الأرض جميعاً) الواو عاطفة ، ومن اسم موصول معطوف على المسيح وأمه ، وفي الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وجميعاً حال (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) الواو حالية ، ولله جـار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر ، وما بينهما : الواو عاطفة على ملك وما اسم موصول ، والظرف متعلق بمحـذوف صلة الموصول (يخلق ما يشاء) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أنه سبحانه خالق الخلق حسب مشيئته (والله على كل شيء قدير) الكلام مستأنف مسوق لبيان قدرته تعالى على كل شيء ، فكل ما تعلقت به مشيئته ينفذ بقدرته ، وإنما يعد بعض خلقه غريباً بالنسبة الى علم البشر الناقص ، لا بالنسبة اليه تعالى • وقد تقدم اعرابها •

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) ﴾

اللغـة :

(فترة) من فتر الشيء اذا سكن أو زالت حدته ، وقال الراغب : الفتور : سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة . وذكر الآية . والمراد بها هنا انقطاع الوحي وظهور الرسل عدّة قرون .

الاعراب :

(وقالت اليهود والنصارى) الواو استئنافية ، وقالت اليهود فعل وفاعل ، والنصارى عطف على اليهود (نحن أبناء الله وأحبّاؤه) الجملة مقول قولهم ، ونحن مبتدأ وأبناء الله خبر ، وأحباؤه عطف على أبناء الله (قل : فلمَ يعذبكم بذنوبكم ؟) الكلام مستأنف مسوق للرد على هذه الأقوال . وقل فعل أمر ، والفاعل أنت والفاء هي الفصيحة ، أي :

إذا كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الـذنوب ! ولم اللام حرف جر ، وما اسم استفهام حذفت ألفه لدخول حرف الجر عليـه : والجار والمجرور متعلقـان بيعذبكـم ، ويعذبكـم فعـل مضارع ومفعوله ، والفاعـل هو ، وبذنوبكم جار ومجرور متعلقان بيعذبكم أيضاً ، والجملة كلها مقول قولهم ، وجملة لم يعذبكم لا محل لها لأنها واقعة جواب شرط غـير جازم (بل أنتم بشر ممن خلق) بل حرف إضراب وعطف عـلى محذوف متصيّد من مفهوم الكلام السابق . أي : فلستم حينئذ بهذه المثابة من القرب اليه سبحانه . وأنتم مبتدأ وبشر خبر ، وممن جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبشر ، وجملة خلق صلة الموصول « مَنْ » (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) الجملة مستأنفة ، ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر ، وجملة يشاء صلة ، وجملة يعذب من يشاء عطف على الجملة الآنفة (ولله ملك السموات والأرض وما بينهمـا واليه المصير) الجملة مستأنفـة ، ولله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وملك السموات مبتدأ مؤخر ، والأرض عطف عـلى السموات ، وما عطف أيضاً ، والظـرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، واليه المصير الواو عاطفـة واليه جار ومجرور متعلقـان بمحذوف خبر مقدم ، والمصير مبتدأ مؤخر ، والجملة معطوفة عـلى جملة ولله ملك السموات والأرض (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) يا حرف نداء ، وأهل الكتاب منادى مضاف ، وقد حرف تحقيق ، وجاءكم رسولنا فعل ومفعول به وفاعل ، والجملة مستأنفة (يبين لكم على فترة من الرسل) جملة يبين في محل نصب على الحال من «رسولنا»، أي : مبيناً لكم ولكم متعلقـان بيبين ، وعـلى فترة جار ومجرور متعلقان بجاءكم ، أي : جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع

الوحي ، أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير يبين ، أو من ضمير لكم . أي : يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل ، أو حال كونكم عليها أحوج ما كنتم الى البيان . ومن الرسل جار ومجرور متعلقان بمحذوف وقع صفة لفترة ، أي : كائنة من الرسل (أن تقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير) أن تقولوا المصدر المنسبك من أن والفعل بعدها مفعول لأجله على حذف مضاف ، أي : كراهة قولكم ، أو منصوب بنزع الخافض ، مع تقدير النفي ، أي : لئلا تقولوا ، وجملة ما جاءنا في محل نصب مقول القول ، ومن حرف جر زائد ، وبشير فاعل محلاً لجاءنا ، ولا نذير عطف على من بشير (فقد جاءكم بشير ونذير) الفاء هي الفصيحة ، أي : إذا اعتذرتم بذلك فقد جاءكم بشير ونذير . وجاءكم بشير فعل ومفعول به وفاعل ، ونذير عطف على بشير ، والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها واقعة في جواب شرط غير جازم (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وقدير خبره . والجار والمجرور متعلقان بقدير .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذ قال موسى لقومه) : كلام مستأنف مسوق لبيان ما فعلوه، وما صدر عن بعضهم بعد أخذ الميثاق • وإذ ظرف لما مضى متعلق باذكر محذوفاً ، والخطاب للنبي ليعدّد عليه ما صدر عنهم ، وجملة قال موسى من الفعل والفاعل في محل جر بالإضافة ، ولقومه متعلقان بقال (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) الجملة في محل نصب مقول القول ، ويا حرف نداء ، وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وعليكم متعلقان بنعمة (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) إذ ظرف لما مضى متعلق بالنعمة ، وجملة جعل في محل جر بالاضافة ، وفيكم متعلقان بجعل على أنه مفعول به أول لجعل ، وأنبياء مفعوله الثاني ، وجعلكم ملوكاً عطف على ما تقدم ، وملوكاً مفعول به ثان (وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين) الواو عاطفة ، وآتاكم فعل ومفعول به أول ، والفاعل هو ، وما اسم موصول مفعول به ثان ، وجملة لم يؤت أحداً صلة الموصول « ما » ، ومن العالمين متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، والمراد بالعالمين الأمم الخالية الى زمانهم وعالم زمانهم ، من خلق البحر ، وتظليل الغمام ، والمن والسلوى ، وغير ذلك من الامور العظيمة (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة) الجملة استئنافية وادخلوا فعل أمر وفاعل ، والأرض مفعول به على السعة ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بادخلوا ، والمقدسة صفة للأرض (التي كتب الله لكم) التي صفة ثانية للأرض ، وجملة كتب الله صلة ، ولكم جار ومجرور متعلقان بكتب (ولا ترتدوا على أدباركم) الواو عاطفة ، ولا ناهية وترتدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، وعلى أدباركم متعلقان بمحذوف

حال من فاعل ترتدوا (فتنقلبوا خاسرين) الفاء عاطفة ، وتنقلبوا معطوف على ترتدوا فهو مجزوم مثله ، ويجوز أن تكون الفاء هي السببية لتقدم النهي عليها ، فهو منصوب بأن مضمرة بعدها ، وخاسرين حال •

الفوائد :

المنادى المضاف الى ياء المتكلم أربعة أقسام :

١ ـ ما فيه لغة واحدة ، وهو المعتل بالياء أو بالألف ، فإن ياءه المضاف اليها واجبة الثبوت والفتح نحو : يا قاضيَّ ويا فتايَ •

٢ ـ ما فيه لغتان : وهو الوصف المشبه للفعل المضارع ، ونعني به اسمي الفاعل والمفعول ومبالغة اسم الفاعل ، فان ياءه ثابتة دائماً ، وهي إما مفتوحة وإما مكسورة ، نحو : يا مكرمي ويا ضاربي •

٣ ـ ما فيه ست لغات : وهو ما عدا ذلك ، وليس أباً ولا أُمّاً ، نحو : يا غلامي ، فالأكثر فيه حذف الياء والاكتفاء بالكسرة ، نحو : يا غلامِ ، ثم ثبوتها ساكنة على الأصل ، نحو يا غلامي ، أو مفتوحة ، نحو : يا غلاميَ • ثم قلب الكسرة فتحة والياء ألفاً ، نحو : يا حسرتا • ثم حذف الألف المنقلبة والاجتزاء بالفتح ، فتقول : يا حسرةَ ، ثم حذف الياء والاكتفاء بنيتها وضم الاسم المضاف للياء ، مثل : يا غلامُ •

٤ ـ ما فيه عشر لغات : وهو الأب والأم ، ففيهما مع اللغات الست المتقدمة أربع لغات أخر ، وهي أن تعوض تاء التأنيث من ياء

المتكلم وتكسرها وهو الأكثر ، أو تفتحها أو تضمها وهو قليل ، وربما جمع بين التاء والألف ، فقيل : يا أبتا ويا أمتا .

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

اللغة :

(جبارين) : الجبار : العاتي المتمرد ، فعّال ، من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه ، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد . والمراد هنا أنهم ذوو قوّة .

الاعراب :

(قالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين) الجملة مستأنفة ، وقالوا فعل وفاعل ، وجملة النداء وما بعدها مقول قولهم ، وفيها متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، وقوماً اسمها المؤخر ، وجبارين : صفة لـ « قوماً » (وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) الواو عاطفة على ما تقدم ، وإن واسمها ، وجملة لن ندخلها خبرها ، وحتى حرف

غاية وجر ، ويخرجوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها والجار والمجرور متعلقان بندخلها ، ومنها متعلقان بيخرجوا (فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، ويخرجوا فعل الشرط، والفاء رابطة لأن الجملة بعدها اسمية لا تصلح جواباً ، وإن واسمها وداخلون خبرها ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) الجملة استئنافية ، وقال رجلان : فعل وفاعل ، ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وجملة يخافون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة أنعم الله صفة ثانية أو معترضة فتكون لا محل لها ، ولابن هشام قول فيها نورده في باب الفوائد ، وعليهما متعلقان بأنعم (ادخلوا عليهم الباب) الجملة في محل نصب مقول قول الرجلين (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وهو متعلق بـ « غالبون » وجملة دخلتموه في محل جر بالاضافة ، والفاء رابطة لجواب إذا ، وإن واسمها ، وغالبون : خبرها (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لتوصيتهم بالاتكال على الله أولاً ، والأخذ بأسباب الحيطة والحذر ثانياً، والفاء في قوله : «فتوكلوا»جواب أمر محذوف لا بد من تقديره : تنبّهوا فتوكلوا على الله ، وعلى الله متعلقان بتوكلوا ، كما قالت العرب : زيداً فاضرب ، تقديره : تنبه فاضرب زيداً ، وكثيراً ما يأتي معمول ما بعد الفاء متقدماً عليها . وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ومؤمنين خبرها ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فتوكلوا .

الفوائـد :

١ ـ قال ابن هشام في صدر حديثه عن هذه الآية : قوله تعالى : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » فإن جملة : « أنعم الله عليهما » تحتمل الدعاء فتكون معترضة والإخبار فتكون صفة ثانيـة ، ويضعف من حيث المعنى أن تكون حـالاً ، ولا يضعف في الصناعة لوصفها » . هذا ما قاله ابن هشام ، ولم يبين ابن هشام رحمه الله وجه الضعف من حيث المعنى ، فإن جعلها حالاً يقتضي أن قولهم في وقت إنعامه فقط ، مع أن قولهم لا يتقيد بذلك . والحاصل أن الحالية تقتضي تقييد العامل مع أن المعنى ليس على التقييد .

٢ ـ عبارة السمين : وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : في هذه الجملة خمسة أوجه ، أظهرها أنها صفة ثانية فمحلها الرفع ، وجيء هنا بأفصح الاستعمالين من كونه قـدّم الوصف بالجار على الوصف بالجملة لقربه من المفرد . الثاني أنها متعرضة ، وهو أيضاً ظاهر . الثالث : أنها حال من الضمير في « يخافون » ، قاله مكيّ . الرابع : أنها حال من « رجلان » ، وجاءت الحال من النكرة لتخصصها بالوصف . الخامس : أنها حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور ، وهو « من الذين » لوقوعه صفة لموصوف ، واذا جعلتها حالاً فلا بد من إضمار « قد » مع الماضي ، على خلاف في المسألة .

٣ ـ الرجلان اللذان أنعم الله عليهما هما يوشع بن نون ، وهو الذي نبيء بعد موسى . وكالب بن يوقنا ، وكالب بفتح اللام وكسرها .

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّادَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ

أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

اللغـة :

(أبداً) : ظرف زمان ، وهو هنا تعليق للنفي المؤكـد بالدهر المتطاول .

(يتيهون) : يسيرون في الارض متحيرين لا يهتدون طريقاً . والتيه : المفازة التي يتاه فيها .

(تأس) : تندم وتحزن والأسى : الحزن . ولامه يحتمل أن تكون من واو لقولهم : رجل أسوات ، أي : كثير الحزن ، ويحتمل أن تكون من ياء ، فقد حكي : رجل أسيان ، وفي مختار الصحاح : « وأسيَ على مصيبته من باب « صديَ » أي : حزن ، وقد أسي له أي حزن له .

الاعراب :

(قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) كلام مستأنف

مسوق للدلالة على تماديهم في العصيان . وقالوا : فعل وفاعل ، وجملة النداء وما بعدها في محل نصب مقول قولهم ، وإن واسمها ، وجملة لن ندخلها خبر ، وأبداً ظرف زمان متعلق بندخلها ، وما داموا ما : مصدرية ظرفية ، وداموا هي دام الناقصة ، والواو اسمها ، وفيها متعلقان بمحذوف خبرها ، وهذا الظرف بدل من « أبداً » لأنه بمثابة البيان له ، فهو بدل مطابق أو كل من كل ، وقيل : هو بدل بعض من كل ، لأن الأبد يعم الزمن المستقبل كله ، وديمومة الجبارين فيها بعضه (فاذهب أنت وربك فقاتلا) الفاء الفصيحة ، كأنهم قد أضمروا كلاماً ينطوي على الاستهانة والسخرية بالله ورسوله . واذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ، وأنت تأكيد للفاعل المستتر ، وربك عطف على الفاعل المستتر في « اذهب » ، وجاز للتأكيد بالضمير ، كما نصّ على ذلك ابن مالك في الخلاصة :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

فقاتلا عطف على « اذهب » ، والألف فاعل قاتل (إنا ها هنا قاعدون) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان إصرارهم على أنهم لن يتقدموا . وإن واسمها ، والهاء للتنبيه وهنا اسم اشارة في محل نصب على الظرفية المكانية ، والظرف متعلق بـ « قاعدون » ، وقاعدون خبر إن (قال : ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي) الجملة مستأنفة مسوقة للبثّ والشكوى الى الله ، والحسرة ورقة القلب ، وهي من الوسائل التي تستمطر فيها الرحمة ويستنزل النصر . وقال فعل ماض والفاعل هو ، ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، وقد تقدم القول مسهباً في المنادى المضاف الى ياء المتكلم ، وإن واسمها ، والجملة مقول القول ،

وجملة لا أملك خبر إن ، وإلا أداة حصر ، ونفسي مفعول به ، وأخي من طريف الإعراب وهو يحتمل الرفع والنصب والجر ، وكلها متساوية.

أوجه الرفع :

فالرفع من ثلاثة أوجة هي :

١ ــ أن يكون عطفاً على الضمير المستتر في « أملك » .

٢ ــ أن يكون عطفاً على محل إن واسمها .

٣ ــ أن يكون مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : وأخي لا يملك إلا نفسه .

وجها النصب :

والنصب من وجهين :

١ ــ أن يكون معطوفاً على اسم إنَّ .

٢ ــ أن يكون معطوفاً على نفسي .

وجه الجر :

والجر من وجه واحد :

أن يكون معطوفاً على الياء المجرور باضافة نفس اليها .

(فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) الفاء استئنافية ، وافرق فعل

دعاء بمعنى : احكم لنا بما نستحقه ، واحكم عليهم بما يستحقونه .
وبيننا ظرف متعلق بـ « افرق » ، وبين القوم الفاسقين عطف على
« بيننا » (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض)
الجملة مستأنفة ، وفاعل « قال » مستتر تقديره : الله تعالى ، والفاء
زائدة في الاعراب لتمكين التأكيد ، وإن واسمها ، ومحرمة خبرها ،
وعليهم متعلقان بمحرمة ، وأربعين ظرف زمان متعلق بيتيهون ، فيكون
التحريم على هذا غير مؤقت بهذه المدة ، أو متعلقان بمحرمة ، فيكون
التحريم مقيداً بهذه المدة ، وسنة تمييز ، وجملة فانها محرمة مقول
القول ، وجملة يتيهون في الأرض حالية ، أي : حالة كونهم تائهين
ضاربين في متاهات الارض ومناكب الصحاري تتخبطهم الحسرة ،
وتتعاورهم الحيرة . (فلا تأس على القوم الفاسقين) الفاء الفصيحة ،
أي : إذا عرفت هذا فلا تحزن ، ولا ناهية ، وتأس فعل مضارع مجزوم
بلا الناهية ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وعلى القوم متعلقان
بـ « تأس » ، والفاسقين صفة لقوم .

الفوائد :

قد يتساءل متسائل فيقول : كيف قال موسى : إني لا أملك إلا
نفسي وأخي ، مع أنه كا نمعهما الرجلان المذكوران ، وهما يوشع
وكالب ؟ فالجواب أنه لم يطمئن الى ثباتهما بعد أن رأى الأكثرية
الساحقة مصرة على التعنت ، ولم تكن النبوة قد هبطت على يوشع بن
نون ، فلم يذكر معه إلا النبي المعصوم ، وهو أخوه هارون . وهنا
أقاصيص مطوّلة ، يرجع اليها القارىء في المطولات من التفاسير .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ

مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

اللغــة :

(قربانا) : القربان : بضم القاف ، وفيه وجهان :

١ ــ إنه اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل ، من صدقة أو نسك أو غير ذلك ، كالحُلوان بضم الحاء أيضاً : اسم ما يحلى ، أي : يعطى . يقال : قرب صدقة ، وتقرب بها ، لأن « تقرّب » مطاوع « قرّب » .

٢ ــ أن يكون مصدراً في الأصل ، ثم أطلق على الشيء المتقرّب به كقولهـم : نسج اليمن ، ويدلّ عـلى ذلك أنه لم يثن ، والموضع موضع تثنية ، لأن كلاً من قابيل وهابيل له قربان يخصّه ، والأصل أن يقول : قربانين . وقال أصحاب الرأي الأول : لا حجة في هذا ، لأن المعنى : إذ قرّب كل واحد منهما قرباناً ، كقوله تعالى : « فاجلدوهم ثمانين جلدة » ، أي كل واحد منهم ثمانين جلدة .

(تبوء) : ترجع .

الاعراب :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ) الجملة معطوفة على الفعل المقدر في قوله : « وإذ قال موسى لقومه » ، يعني : اذكر يا محمد لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم ، وهما : هابيل وقابيل ، وقصة القربان وسببه . وقصة قتل قابيل لهابيل طفحت بها المطوّلات من التفاسير . واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، وعليهم متعلقان بـ « اتل »، ونبأ مفعول به ، وابني مضاف الى « نبأ » وحذفت النون للاضافة ، وآدم مضاف الى « ابني » ، وبالحق متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف ، أي : تلاوة ملتبسة بالحق ، أو حال من الفاعل ، فيكون التقدير : حال كونك ملتبساً بالحق ، أي : بالصدق ، أو من المفعول به ، أي : اتل نبأهما ملتبساً بالحق والصدق (إذ قرّبا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بنبأ ، أي : اتل قصتهما وخبرهما الواقع في ذلك الوقت ، أو هو بدل منه ، أي : واتل عليهم النبأ ، نبأ ذلك الوقت ، على تقدير حذف المضاف وجملة قربا في محل جر بالاضافة ، وقربا فعل وفاعل ، وقرباناً مفعول به ، فتقبل : الفاء عاطفة وتقبل فعل ماض مبني للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على « قرباناً » ، ومن أحدهما جار ومجرور متعلقان بتقبل ، ولم يتقبل من الآخر عطف على تقبل (قال : لأقتلنك قال : إنما يتقبّل الله من المتقين) جملة لأقتلنك في محل نصب مقول القول ، واللام موطئة للقسم ، وأقتلنك فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بالنون الثقيلة ، والكاف مفعول به ، وإنما كافة ومكفوفة ، وجملة إنما يتقبل

الله من المتقين مقول القول • (لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا باسط يدي إليك لأقتلك) اللام موطئة للقسم ، وان شرطية ، وبسطت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والتاء فاعل ، وإلي متعلقان يبسطت ، ويدك مفعول به ، والجملة مستأنفة مبينة لما أراد قوله ، ولتقتلني اللام لام التعليل ، وتقتلني فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والنون للوقاية ، والياء مفعول به ، والجار والمجرور متعلقان ببسطت، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وأنا اسمها ، والباء حرف جر زائد ، وباسط اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبرها ، ويدي مفعول به لباسط لأنه اسم فاعل ، واليك متعلقان بباسط ، ولأقتلك اللام لام التعليل ، وأقتلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل،والجملة جواب القسم لتقدمه على الشرط،وجواب الشرط محذوف لدلالةجواب القسم عليه(إني أخاف الله رب العالمين)الجملة تعليلية ، وإن واسمها ، وجملة أخاف الله خبرها ، ورب العالمين بدل من الله أو صفة (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار) الجملة تعليل ثان لامتناعه عن المقاتلة بعد التعليل الأول ، وإن واسمها ، وجملة أريد خبرها ، والفاعل مستتر تقديره أنا ، وأن تبوء مصدر مؤول في محل نصب مفعول به لأريد ، وبإثمي جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال من فاعل تبوء ، أي : ترجع حاملاً له ، أو ملابساً له • فتكون الفاء عاطفة ، وتكون فعل مضارع ناقص معطوف على تبوء تبعه في النصب واسمها أنت ، ومن أصحاب النار متعلقان بمحذوف خبر تكون (وذلك جزاء الظالمين) الواو استئنافية وذلك اسم اشارة في محل رفع مبتدأ ، وجزاء الظالمين خبر •

البلاغـة :

١ ـ في قوله : « إنما يتقبل الله من المتقين » الكلام الجامع المانع، فقد جمعت هذه الجملة الكثير من المعاني بكلام مختصر ، فقد اشتملت على فحوى القصة من أولها الى آخرها ، والقصة مطولة يجدها القارىء في المطوّلات . وخلاصة المعنى أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متّقٍ ، وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له : ما يبكيك ؟ فقد كنت وكنت . قال : إني أسمع الله يقول : إنما يتقبل الله من المتقين .

٢ ـ في قوله : « إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك » فن الاتساع . وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه ، فيتّسع التأويل فيه على قدر عقول الناس وتفاوت أفهامهم . وهو في الآية في إرادته إثم أخيه ، لأن معناه : إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب . ولما لم يكن بدّ من إرادة أحد الأمرين : وهما إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه ، وإما إثم أخيه بتقدير أن يستسلم وكان غـير مريد للأول فاضطر الى الثاني ، فلم يرد إذن إثم أخيه لعينه ، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية الى القتل ، ولم تكن حينئذ مشروعة ، فلزم من ذلك إرادة إثم أخيه . وهذا كما يتمنى الانسان الشهادة . ومعناها أن يبوء الكافر بقتله وبما عليه في ذلك من الإثم ، ولكن لم يقصد هو إثم الكافر لعينه وإنما أراد أن يبذل نفسه في سبيل الله رجاء إثم الكافر بقتل الكافر ضمناً وتبعاً . والذي يدل على ذلك أنه لا فرق في حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر وبين أن يختم له بالإيمان ، فيحبط عنه إثم القتل الذي كان به الشهيد

شهيداً ، أعني بقي الإثم على قاتله وأحبط عنه ، إذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيدها ، ولو كان إثم الكافر بالقتل مقصوداً لاختلف التمني باعتبار بقائه وإحباطه ، فدلّ على أنه أمر لازم تبع لا مقصود .

أقوال للعلماء :

هذا وقد أفاض علماء التفسير والنحو والبلاغة في هذه الآية ، ويتلخص مما أوردوه أن هناك ثلاثة تأويلات :

أ ـ إنه على حذف همزة الاستفهام أي : إني أريد أأن تبوء ؟ وهو استفهام استنكاري لأن إرادة المعصية معصية .

ب ـ أن « لا » محذوفة ، تقديره : إني أريد أن لا تبوء بإثمي ، كقوله تعالى : « يبين الله لكم أن تضلوا » أي : أن لا تضلوا .

جـ ـ إن الإرادة على حالها ، وهي إما ارداة مجازية أو حقيقية ، وجازت إرداة ذلك به لمعان ذكرها المفسرون ، ومن جملتها أنه ظهرت له قرائن تدل على قرب أجله ، وأن أخاه كافر ، وأن ارادة العقوبة بالكافر حسنة .

٣ ـ جاء الشرط بلفظ الفعل ، وهو قوله : بسطت ، والجواب بلفظ اسم الفاعل ، وهو قوله : « ما أنا بباسط » لإفادة أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا العمل المنكر ، ولذلك أكده بالباء الزائدة المؤكدة للنفي .

المتنبي والاتساع :

وعلى كل حال تبدو هذه الآية والاتساع فيها مما يدق على الأفهام ، ولكنها دقة لازمة تنطوي على الكثير من المعاني المتصيدة من الكلام . وقد رمق المتنبي سماءها فكثيراً ما كان يجنح الى هذا الضرب من البلاغة فيدق كلامه . فمن اتساعه قوله :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت   لها المنايا الى أرواحنا سبلا

فظاهر الكلام يوحي بالبداهة الأولى أن « لها » جار ومجرور متعلقان بوجدت ، ولكن فيه تعدّي فعل الفعل الظاهر الى ضميره المتصل ، وذلك ممتنع ، فيجب أن يقدر صفة في الأصل لـ « سبلاً » فلما تقدم عليه صار حالاً ، كما أن قوله : « الى أرواحنا » ، كذلك إذ المعنى : سبلاً مسلوكة الى أرواحنا . ولك في « لها » وجه غريب ، وهو أن تقدر « لها » جمعاً للهاة ، كحصى وحصاة ، وتكون « المنايا » مضافة اليها ، ويكون إثبات اللهوات للمنايا استعارة ، شبهت بشيء يبتلع الناس ، ويكون أقام اللها مقام الأفواه لمجاورة اللهوات للنعم ، فاللهاة بالفتح هي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . ومن ذلك قوله في الغزل .

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها   في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها   فأرتني القمرين في وقت معا

فليس المعنى كما يظنه الناس من أنه رأى قمرين في وقت واحد القمر ووجهها ، وإنما التحقيق أنها لما استقبلت قمر السماء ارتسم خياله في وجهها فرآهما في وقت واحد ، كما تقابل الأشكال المرآة ، فتنطبع

الصورة فيها ، فترى المرآة والأشكال المنطبقة فيها في وقت واحد معاً • وقد أخطأ التبريزي حين شرح البيت وقد قال : يجوز أنه أراد قمراً وقمراً ، لأنه لا يجتمع قمران حقيقيان في ليلة ، كما لا تجتمع الشمس والقمر • وقد تشبث أحد الشعراء بأهداب المتنبي فنظم بيتين أشبه ما يكونان بالشعوذة والألاعيب وهما :

رأت قمر السماء فذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

وأحسن ما يمكن أن يقال فيهما : إن معنى قمرين : قمر حقيقي وهو قمر السماء ، وقمر مجازي وهو وجه المحبوبة ، فهو يقول : هي رأت القمر المجازي وهو قمر السماء ، وأنا رايت وجهها وهو القمر الحقيقي ، لأنها هي نظرت الى قمر السماء وهو نظر الى وجهها ، فصح أنه رأى بعينها وهي رأت بعينه • وهذه مبالغة وإفراط في الوصف ، ولكن الشعراء درجوا على أن يجعلوا المحبوب هو القمر الحقيقي ، والذي في السماء هو القمر المجازي • وقال آخرون في شرحهما : يشير هذا الشاعر الى أن قمر السماء من عشاق محبوبته ، وأن محبوبته رأته ذات ليلة فكسته برؤيتها له نور جمالها ومحاسن صفاتها ، وألقت عليه شبهها ، وأعارته اسمها • فأذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي وصلت بالرقمتين وأنها بوصالها له أفتنته وغلبت عليه بصفاتها ، حتى صارت معه كالقمر الواحد ، وكلاهما ينظره • ولهذا قال كلانا ناظر قمراً أي : قمر واحد تعدّد مظهره ، ولكنها تنظره بعينه ، وهي عين المحبة ، لأن المحب صار محبوباً وهو ينظر بعينها ، لأنها أعارته عيناً رآها بها ، فكأن المبصر لها نفسها • والكلام في الاتساع طويل نجتزىء منه هنا بما تقدم •

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

اللغـة :

(طوّعت) : وسّعت وزيّنت ، من طاع المرعى له : إذا اتسع •

(سوءة) : السَّوْءة : بفتح السين : العورة ، وما لا يجوز أن ينكشف من الجسد • والسوءة : الفضيحة • وخص السوءة بالذكر لأن الاهتمام بسترها آكد •

الاعراب :

(فطوعت له نفسه قتـل أخيه فقتله فأصبـح من الخاسرين) الفاء عاطفة ، وطوعت فعل ماض ، وله متعلقان بطوعت ، ونفسه فاعل ، وقتل أخيه مفعول به،فقتله عطف أيضاً،فأصبح عطف أيضاً، واسمها ضمير مستتر تقديره هو،ومن الخاسرين:جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض) الفاء عاطفة،وبعث فعل ماض والله فاعل وغراباً مفعول به ، وجمـلة يبحث في الارض في محـل نصب صفة

لـ « غراباً » ، وفي الارض جار ومجرور متعلقان بيبحث (ليريه كيف يواري سوءة أخيه) اللام للتعليل ويريه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والهاء مفعول به ، وكيف : اسم استفهام في محل نصب على الحال ، وللجار والمجرور متعلقان ببعث ، فالضمير المستتر في الفعل يعود لله ، ويجوز أن يتعلقا بيبحث ، أي : ينبش ويثير التراب للإراءة ، فالضمير المستتر يعود للغراب . وجملة الاستفهام معلقة للرؤية البصرية ، فهي في محل نصب مفعول به ثان سادّة مسده ، لأن رأي البصرية قبل تعديتها بالهمزة متعدية لواحد ، فاكتسبت بالهمزة مفعولا آخر هو المفعول الأول ، وقد تقدم نظيرها في قوله تعالى : « رب أرني كيف تحيي الموتى » (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) الجملة مستأنفة ، كأنها قيلت لتكون جواباً على سؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا قال عندما شاهد الغراب يفعل ذلك ؟ ويا حرف نداء ، وويلتا كلمة جزع وتحسر ، وقد ناداها كأن الويل غير حاضر عنده ، فناداه ليحضر ، أي : أيها الويل احضر ، فهذا أوان حضورك . ويجوز أن تجعل المنادى محذوفاً وتنصب الويل على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف أماته العرب ، والألف بدل من ياء المتكلم ، والجملة مقول القول ، والهمزة للاستفهام والتعجب كأنه يتعجب من نفسه : كيف لم يهتد الى ما اهتدى اليه الغراب ؟ وعجزت فعل وفاعل ، والجملة مندرجة في مقول القول ، وأن حرف مصدري ونصب ، وأكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن ، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بعجزت ، أي : أعجزت ، واسم أكون ضمير مستتر تقديره أنا ، ومثل خبر أكون ، وهذا اسم إشارة مضاف اليه ، والغراب بدل من اسم الاشارة (فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) الفاء عاطفة ، وأواري فعل مضارع معطوف على أن أكون ،

وهذا أولى من جعلها سببية ، لأنها مسبوقة بالاستفهام ، وأواري فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، لأن الفاء الواقعة جواباً للاستفهام تنعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط وجزاء ، وهنا لا تنعقد ، تقول : أتزورني فأكرمكْ ، والمعنى : إن تزرني أكرمك ، ولو قلت هنا : إنْ أعجز عن أن أكون مثل هذا الغراب أوارِ سوءة أخي ، لم يصحّ ، لأن المواراة لا تترتب على عجزه عن كونه مثل الغراب ، ولهذا اعتبرنا العطف أولى . وسوءة أخي مفعول به ، فأصبح الفاء عاطفة ، وأصبح فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر تقديره هو ، ومن النادمين خبرها .

البلاغة :

المجاز في قوله : « يا ويلتا » ، لأنه نادى مالا يعقل . وأصل النداء أن يكون لمن يعقل .

الفوائد :

هذه القصة التي أوردها القرآن تصلح نواة لقصة عظيمة ، وهي بحاجة الى القلم المبدع ، ليعد منها قصة فنية رائعة . روي أن آدم مكث بعد مقتل هابيل مائة سنة لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ، وهو كذب منحول ، فقد صح أن الأنبياء لا يقولون الشعر . وروى ميمون ابن مهران عن ابن عباس أنه قال : من قال إن آدم قال شعراً فهو كذب ، ولكنه كان ينوح عليه ، ويصف حزنه نثراً من الكلام ، شبه المرثية ، فتناسخته القرون ، فلما وصل الى يعرب بن قحطان وهو أول من خط بالعربية نظمه شعراً فقال :

تغــيّرت البــلاد ومن عليها   فوجــه الأرض مغــبر قبيحُ

وقد ذكروا بعد هذا البيت ستة أبيات ، ولم يكتفوا بذلك بل لفقوا حديثاً فحواه أن إبليس أجابه في الوزن والقافية بخمسة أبيات ، قال الزمخشري : « وكــل ذلك كذب بحت ، وما الشعر إلا منحول ملحون » . يشير الزمخشري الى البيت الثاني وهو :

تغــيّر كل ذي لون وطعــم   وقل بشاشة الوجــه المليــحِ

ورووه على الإقواء ، أي : بجر المليح . ويرويه بعضهم «بشاشةَ» بالنصب من غير تنوين ، ورفع « الوجهُ المليحُ » فليس بلحن . وقد خرجوه على حذف التنوين من « بشاشة » ، ونصبه على التمييز . وقد أشار شاعرنا الفيلسوف أبو العلاء المعري الى هذه القصة في رسالة الغفران ، فارجــع اليها إن شئت ، والله يعصمك . وإنمــا خص بني إسرائيــل بهــذه القصة كما سيأتي ، لأن القتــل ديدنهــم ، حتى تناول الانبياء .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

اللغــة :

(أجل) : الأجْل بسكون الجيم مصدر . يقال : أَجَل عليهم شراً أي جناه وهيجه ، ثم استعمل في الجنايات ، كما في قولهم : « من جراك فعلتــه » أي : من أن جررته ، أي : جنيتــه ، ثم اتسع فيه ، فاستعمل في كل تعليل .

الاعراب :

(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) الجملة مستأنفة ، والجار والمجرور متعلقان بكتبنا ، وعلى بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بكتبنا أيضاً ، أي : شرّعنا القصاص عــلى القاتــل لتكون شرعية القصاص حكماً ثابتاً في جميــع الأمم . وإنما خص بني إسرائيل كما ذكرنا آنفاً لأن بني إسرائيل كان دأبهم وديدنهم القتل ، حتى أقدموا على قتل الأنبياء والرسل . لأن الغرض هو تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه لمحاولتهم الفتك به وبأصحابه . (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به لكتبنا ، والهاء اسم أنّ ، وهي ضمير الشأن ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، قتل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، ونفساً مفعول به ، وبغير نفس جار ومجرور متعلقان بقتل ، أو بمحذوف حال من ضمير الفاعل في « قتــل » ، أي : قتلها ظالماً ، وأو حرف عطف ، وفساد معطوف على نفس المجرورة بإضافة غــير اليها ، وفي الارض متعلقان بمحذوف صفة لفساد (فكأنما قتل الناس جميعاً) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وكأنما كافة ومكفوفة وقتل الناس فعل ماض وفاعل

مستتر ومفعول به ، وجميعاً حال ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، والجملة الشرطية في محل رفع خبر « أنه » (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) تقدم اعراب نظيره (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) الواو عاطفة ، واللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجملة قد جاءتهم: لا محل لها لأنها جواب القسم ، ورسلنا فاعل ، وبالبينات متعلقان بجاءتهم (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وإن واسمها ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » والظرف متعلق بمحذوف حال ، وذلك اسم اشارة في محل جر بالإضافة ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بـ «مسرفون» واللام المزحلقة ، ومسرفون خبر « إن » .

البلاغة :

التشبيه التمثيلي : ومناط التشبيه اشتراك فعلي القتل في هتك حرمة الدماء والتجرؤ على الله وتشجيع الناس على القتل . ووجه التشبيه هو تهويل أمر القتل ، وتفخيم شأن الاحياء ، بتصوير كل منهما بصورة لائقة به .

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

الاعراب :

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم الله في كل قاطع طريق ، كافراً كان أو مسلماً ، لأن محاربة المسلمين في حكم محاربة الله ورسوله . وقد نزلت في الأصل في العرنيين . وإنما كافة ومكفوفة ، وجزاء مبتدأ والـذين مضاف اليه ، وجملة يحاربون صلة الموصول ، والله مفعوله ، ورسولـه عطف عـلى الله (ويسعون في الأرض فساداً) ويسعون عطف عـلى يحاربون ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيسعون ، وفساداً يصح أن يكون مفعولاً من أجله ، أي يحاربون ويسعون لأجـل الفساد ، وشروط النصب متوفرة . ويصح أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال ، أي : ويسعون في الأرض مفسدين ، أو ذوي فساد ، وجعلوا نفس الفساد مبالغة . ويصح أن يكون منصوباً على المصدر ، أي أنه نوع من العامل قبله ، لأن يسعون في الأرض معنـاه في الحقيقـة يفسدون ، ففساداً اسم مصدر قائم مقام الإفساد ، والتقـدير يفسدون في الأرض بسعيهـم إفساداً (أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) المصدر المؤول من أن وما في حيزها خبر جزاء ، وأو حرف عطف ، ويصلبوا عطف على يقتلوا ، أو حرف عطف ، وتقطع عطف على يقتلوا أيضاً . وأيديهم نائب فاعل لتقطع ، وأرجلهم عطف

على أيديهم ، ومن خلاف متعلقان بمحذوف حال من أيديهم وأرجلهم ، أي : تقطع مختلفة ، بمعنى أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى • وينفوا عطف أيضاً ، ومن الأرض متعلقان بينفوا (ذلك لهم خزي في الدنيا) الجملة مستأنفة ، مبينة للغاية من هذه العقوبات • واسم الاشارة في محل رفع مبتدأ ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وخزي مبتدأ مؤخر ، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف صفة لخزي ، والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة ، ويجوز أن يعرب « خزي » خبراً لـ « ذلك » ، ولهم متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال من خزي ، لأنه كان في الأصل صفة له ، فلما تقدم عليه صار حالاً (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) الواو عاطفة ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال ، وعذاب مبتدأ مؤخر ، وعظيم صفة (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) جملة الاستثناء نصب على الحال من المعاقبين ، وإلا حرف استثناء ، والذين مستثنى ، وجملة تابوا صلة الموصول ، ومن قبل متعلقان بتابوا ، وجرّت «قبل» بالكسرة للاضافة وأن تقدروا مصدر مؤول في محل جر بالاضافة ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بتقدروا (فاعلموا أن الله غفور رحيم) الفاء استئنافية ، واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، وأن واسمها وخبراها سدت مسدّ مفعولي « اعلموا » •

الفوائد :

أو: حرف عطف،ولها معان أنهاها صاحب المغني الى اثني عشر معنى، نكتفي منها بالمعاني الرئيسية التالية :

١ ــ الشك : لتشكيك السامع بأمر قصده ، فأبهم عليه ، وهو عالم به . ومنه قوله تعالى : « وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون » .

٢ ــ التخيير : نحو خذ ثوباً أو عشرة دراهم ، قال الله تعالى : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » فأوجب أحد هذه الثلاثة ، وزمام الخيرة بيد المكلف ، فأيها فعل فقد كفّر وخرج عن العهدة ولا يلزمه الجمع بينها .

٣ ــ الإباحة : جالس فلاناً أو فلاناً ، وقوله تعالى : « ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » .

٤ ــ التقسيم والتنويع كما في الآية ، أي : تقسيم عقوبتهم تقسيماً موزعاً على حالاتهم وجناياتهم . قال الشافعي : « أو » في جميع القرآن للتخيير ، إلا في هذه الآية .

٢ ــ اختلف أهل التأويل في معنى النفي الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع فقال بعضهم : معنى النفي أي نفيه من بلد الى آخر ، وحبسه في السجن في البلد الذي نفي اليه . وأصل معنى النفي في كلام العرب الطرد ، قال أوس بن حجر :

تنفون عن طرق الكرام كما   تنفي المطارق ما يلي القرد

والقَرَد بفتحتين : ما تمعّط من الوبر والصوف وتلبّد وانعقدت أطرافه ، وهو نفاية الصوف . ومنه قيل للدراهم الرديئة وغيرها : النفاية .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ

وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

اللغة :

(الوسيلة) : كل ما يتوسل به أي يتقرّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك ، فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي . قال لبيد بن ربيعة :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
ألا كل ذي لبٍّ الى الله واسل

وفي المصباح وسلت الى الله أسل من باب وعد : رغبت وتقربت ، ومنه اشتقاق الوسيلة وهي ما يتقرب به الى الشيء ، والجمع الوسائل ، والوسيل ، قيل : جمع وسيلة ، وقيل : لغة فيها . ومنه قول عنترة لامرأة لامته في فرس كان يؤثره على سائر خيله ، ويسقيه ألبان إبله :

لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
إنّ الغبوق له وأنت مسوءة إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي
إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي
ويكون مركبك العقود وحدجه وابن النعامة يوم ذلك مركبي

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعراب نظائره كثيراً (اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) كلام مستأنف مسوق لبيان التقوى وابتغاء الوسيلة الى الله بعد ما بين عظم القتل والفساد في الارض ، وأشار الى الذين غفر لهم بعد توبتهم . واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وابتغوا عطف على اتقوا ، واليه متعلقان بابتغوا أو بالوسيلة ، لأنها فعيلة بمعنى مفعول ، أي : المتوسل به ، وليست بمصدر حتى يمتنع أن يتقدم معمولها عليها ، والوسيلة مفعول به (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) عطف على ما تقدم ، ولعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها ، وجملة الرجاء حالية . (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعاً) كلام مستأنف مسوق لتأكيد وجوب الامتثال للأوامر السابقة ، وترغيب المؤمنين في المسارعة الى اتخاذ الوسيلة إليه . وإن واسمها ، ولو شرطية ، وأن حرف مشبه بالفعل ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « أن المقدم » ، وما اسم موصول اسمها المؤخر ، وأن وما في حيزها مصدر مرفوع على الفاعلية بفعل محذوف تقديره : ثبت ، أو في محل رفع مبتدأ ، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً . وفي الأرض متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ، والشرط

وجوابه خبر « إن » ، وجميعاً حال (ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة) لك أن تجعل الواو عاطفة ، ومثله عطف على اسم أن وهو « ما » الموصولية . ولك أن تجعل الواو للمعية ، ومثله مفعول معه ، وناصبه الفعل الذي حذف قبل الفاعل ، أو بفعل مماثل إن أعربت أن وما بعدها جملة ابتدائية . ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ، واللام لام التعليل ، ويفتدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو « لهم » ، وبه متعلقان بيفتدوا ، ومن عذاب يوم القيامة متعلقان بيفتدوا أيضاً ، لاختلاف معناهما ، ووحد الضمير مع أن الراجع اليه شيئان ، لأن الضمير بمعنى اسم الاشارة ، أي بذلك ، أو بمعنى « مع » فيتوحد المرجوع اليه ، أو هو من باب قول عمير بن ضابىء البرجمي :

فمن يك أمسى بالمدينة رحلُه فإني وقيّارٌ بهـــا لغريبُ

وسيأتي شرح هذا البيت في باب الفوائد . (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) ما تقبل منهم الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غـير جازم ، وجاء الجواب على الأكثر بغير لام لأنه منفي ، والواو استئنافية أو عاطفة ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعذاب مبتدأ مؤخر ، وأليم صفة (يريـدون أن يخرجوا من النار وما هـم بخارجين منها) الجملة ابتدائية ، ويريدون فعل مضارع وفاعل ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به ليريدون ، ومن النار متعلقان بيخرجون ، والواو حالية ، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وهم ضمير منفصل في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ، وخارجين مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً لأنه خبر « ما » الحجازية ، والجملة في محل نصب عـلى الحال (ولهم عـذاب مقيم) الواو استئنافة أو

عاطفة ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعــذاب مبتدأ مؤخر ، ومقيم : صفة .

البلاغـة :

في قوله : ليفتــدوا به استعارة تمثيلية ، للزوم العــذاب بهم وديمومته عليهم ، وأنه لا سبيل لهم الى النجــاة منه . وفي الحديث الشريف : « يقال للكافر يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعــم . فيقال له : قــد سئلت أيسر من ذلك » .

الفوائـد :

قول عمير بن ضابىء البرجمي في البيت : « وقيار » : قيار اسم فرسه ، وقيل جمله ، وقيل غلامه . وهو مبتدأ أو معطوف على محل إن واسمها ، وإذا أعرب مبتدأ فيكون خبره محذوفاً اختصاراً لدلالة المذكور عليه بالعطف وفيه العطف قبل تمام المعطوف عليه، وهو سماعي، ولا يجوز القياس عليه ، ولا يجوز جعل «غريب» خبراً عنهما لئلا يتوارد عاملان على معمول واحد،ولايجوز جعله خبراً عن «قيار»لأن لام الابتداء لا تدخل على الخبر . وقد جئنا به شاهداً عــلى أنه حذف من الثاني لدلالة مافي الأول عليه .

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

اللغــة :

(نكالا) : قال في المصباح : نكل به ينكل من باب قتل نكلة قبيحة : أصابه بنازلة . ونكّل به بالتشديد : مبالغة ، والاسم : النكال .

الاعراب :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان حكم السرقة . والسارق مبتدأ خبره محذوف تقديره : فيما يتلى عليكم ، أو فيما فرض عليكــم السارق والسارقة . أي : حكمهما . فحذف المضاف الذي هو « حكم » ، وأقيم المضاف اليه مقامه ، وهو السارق والسارقة ، وحذف الخبر وهو الجار والمجرور ، لأن الفاء بعده تمنع من نصبه عـلى الاشتغال ، كما هي القاعدة ، إذ يترجح النصب قبل الطلب ، وهي أي : الفاء التي جاءت لشبهه بالشرط تمنع أن يكون ما بعدها الخبر ، لأنها لا تدخل عليه أبداً ، فلم يبق إلا الرفع . وهذا باب أفرده سيبويه في كتابه ، ويرى القارىء خلاصته في باب الفوائد . وهي قراءة الجمهــور . وارتأى الأخفش والمبرد وجماعة أن الخبر هو الجملة الأمرية ، وهي قوله : « فاقطعوا » ، وإنما دخلت الفاء في الخبر لأنه يشبه الشرط ، إذ الألف واللام فيه موصولة بمعنى : الذي والتي ، والصفة صلتها ، فهي في قوة قولك : « والذي يسرق والتي تسرق فاقطعوا » ، وأجاز الزمخشري ذلك ؛ وإن رجح

ما ارتآه سيبويه . والسارقة عطف على السارق ، والفاء واقعة في جواب « ال » الموصولية ، واقطعوا فعل أمر والواو فاعل ، وأيديهما مفعول به (جزاء بما كسبا نكالاً من الله) جزاء مفعول لأجله ، أي : لأجل الجزاء ، وشروط النصب متوفرة . ويجوز أن ينصب على المصدر بفعل مقدّر ، أي : جازوهما جزاء . ويجوز أن يعرب حالاً من الفاعل ، أي : مجازين لهما بالقطع . وبما الباء حرف جر معناها السببية ، أي : بسبب كسبهما ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلقان بجزاء . ويجوز أن تكون ما موصولة ، أي : بسبب الذي كسباه من السرقة التي تباشر بالأيدي ، والجملة صلة الموصول . ونكالاً منصوب كما نصب جزاء ، أو هو بدل منه ، ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لـ « نكالاً » (والله عزيز حكيم) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وعزيز خبر أوّل ، وحكيم ثان . وسترد قصة طريفة لأحد الأعراب يراها القارىء في باب الفوائد (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط حازم مبتدأ ، وتاب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطه للجواب ، وإن واسمها ، وجملة يتوب خبرها ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (إن الله غفور رحيم) الجملة استئنافية ، وإن واسمها وخبراها .

الفوائد :

١ ـ نورد فيما يلي خلاصة الفصل الممتع الذي أورده سيبويه في كتابه لطرافته وفائدته وتوثّب الذهن فيه . قال في باب ترجمته : « باب الأمر والنهي » ، بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب ، وملخصها : أنه متى بني الاسم على فعل الأمر فذاك موضع اختيار

النصب . ثم قال كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب :
وأما قوله عز وجل : « والسارق والسارقة فاقطعوا » الآية ، وقوله :
« الزانية والزاني فاجلدوا » الآية ، فإن هذا لم يبن على الفعل ؛ ولكنه
جاء على مثال قوله تعالى : « مَثَلُ الجنةِ التي وُعِد المتقون » .
ثم قال بعد : « فيها أنهار » . كذا يريد سيبويه تمييز هذه الآي عن
المواضع التي بيّن فيها اختيار النصب . ووجه التمييز بأن الكلام
حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنياً على الفعل ، وأما في هذه
الآي فليس بمبني عليه ، فلا يلزم فيه اختيار النصب . ثم قال : وإنما
وضع المثل للحديث الذي بعده ، فذكر أخباراً وقصصاً ، فكأنه قال :
ومن القصص مثل الجنة ، فهو محمول هذا على الإضمار ؛ والله أعلم .
وكذلك « الزانية والزاني » كما قال جل ثناؤه : « سورةٌ أنزلناها
وفرضناها » ، قال : في جملة الفرائض الزانيةُ والزاني ، ثم جاء :
« فاجلدوا » بعد أن مضى فيهما الرفع . يريد سيبويه : لم يكن الاسم
مبنياً على الفعل المذكور بعد ، بل بني على محذوف متقدّم وجاء الفعل
طارئاً . وعاد كلامه فقال : كما جاء : وقائلة « خَوْلانُ فانكِحْ
فتاتَهُمْ » فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر ، وكذلك قوله :
« والسارقُ والسارقة » : وفيما فرض عليكم السارق والسارقة ،
فإنما دخلت هذه الاسماء بعد قصص وأحاديث . وقد قرأ ناس :
والسارقَ والسارقةَ بالنصب ، وهو في العربية على ما ذكرت لك من
القوة ، ولكن أبت العامة إلا الرفع . يريد سيبويه أن قراءة النصب
جاء الاسم فيها مبنياً على الفعل غير معتمد على ما تقدم ، فكان النصب
قوياً بالنسبة الى الرفع ، حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم ،
فإنه قد بين أن ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب ،
فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه ؟ والباب مع القراءتين مختلف ، وإنما

يقع الترجيح بعد التساوي في الباب • فالنصب أرجح من الرفع حيث ينبني الاسم على الفعل ، والرفع متعين لا نقول : حيث بني الاسم على كلام متقدم ثم حقق سيبويه هذا المقدر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار ، ولو كان كما ظنه الزمخشريّ لم يحتج سيبويه الى تقدير ، بل كان يرفعه على الابتداء ، ويجعل الأمر خبره ، كما أعربه الزمخشري• وإنما لخصنا هذا الفصل مع التعليق عليه ، لأن بعض المفسرين ظن أن سيبويه يرجح قراءة النصب من دون هذا التقييد • والملخص من هذا كله : أن النصب على وجه واحد ، وهو بناء الاسم على فعل الأمر والرفع على وجهين ، أحدهما : ضعيف ، وهو الابتداء ، وبناء الكلام على الفعل • والآخر قوي كوجه النصب ، وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق • وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع وأحدهما قوي والآخر ضعيف ، تعين حمل القراءة على القوي ، كما أعربه سيبويه •

الفخر الرازي يرد :

هذا وقد انبرى الفخر الرازي للرد على سيبويه فقال : « والذي ذهب اليه سيبويه ليس بشيء ، فيدل على فساده وجوه » وأورد بعد كلام طويل خمسة وجوه ، يضيق عن استيعابها صدر هذا الكتاب •

أبو حيان يرد على الرازي :

وقد تصدى أبو حيان للرد على الرازي ، ففند بتطويل زائد في تفسيره « البحر المحيط » الوجوه الخمسة التي أوردها ، وقال في نهاية المناقشة : « والعجب من هذا الرجل وتجاسره على العلوم حتى صنّف

كتاباً في النحو سماه « المحرر » ، وسلك فيه طريقة غريبة بعيدة عن مصطلح أهل النحو وعن مقاصدهم » • فليرجع القارىء الى هذه المناقشة ، فإنها لطيفة جداً •

رأي لابن جرير الطبري :

ورأينا لابن جرير الطبري تعليلاً طريفاً في اختيار الرفع ندرجه فيما يلي : يقول جل ثناؤه ما معناه : ومن سرق من رجل أو امرأة فاقطعوا أيها الناس يده • ولذلك رفع السارق والسارقة لأنهما غير معينين ، ولو أريد بذلك سارق وسارقة بأعيانهما لكان وجه الكلام النصب •

٢ ـ جمع الأيدي من حيث كان لكل سارق يمين واحدة ، وهي المعرضة للقطع في السرقة ، وللسرّاق أيدٍ ، وللسارقات أيدٍ ، كأنه قال : اقطعوا أيمان النوعين • فالتثنية للضمير إنما هي للنوعين •

٣ ـ روي أن أعرابياً سمع الأصمعي يتلو هذه الآية ، فقرأ في آخرها : « والله غفور رحيم » فأنكر الأعرابي أن يكون هذا قرآناً • قال الأصمعي : فرجعت الى المصحف فاذا هو : « والله عزيز حكيم » فلما قلت ذلك للأعرابي قال : نعم ، عز فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع • وهذه وثبة من وثبات الذهن العالية •

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) ﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ

لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

الاعراب :

(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) كلام مستأنف مسوق لخطاب الرسول ، والمقصود به كل أحد ، وأنه هو المتصرف الوحيد في شئون التعذيب والغفران لمن يشاء . والهمـزة للاستفهام التقريري لما بعد النفي ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتعلم فعـل مضارع مجزوم بلم ، وأن ومافي حيزها سدت مسدّ مفعولي تعلم ، وأن واسمها ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم ، وملك السموات مبتدأ مؤخر ، والأرض معطوف على المضاف اليه السموات ، والجملة الاسمية خبر أن (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير) الجملة الفعلية خبر ثان لأن أو حالية ، وإنما قدم التعـذيب لأن السياق للوعيد ، فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من

الزواجر • ومن اسم موصول مفعول يعذب ، وجملة يشاء صلة ؛ ويغفر عطف على يعذب ، ولمن يشاء متعلقان بيغفر ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير ، وقدير خبر الله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) كلام مستأنف مسوق لخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحذيراً له من التأثر بما يعمله الكافرون ليحزنوه • ويا أيها الرسول تقدم إعرابها كثيراً ، ولا ناهية ، ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا ، والكاف مفعول به ، والذين اسم موصول في محل رفع فاعل ، وجملة يسارعون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وفي الكفر جار ومجرور متعلقان بيسارعون (من الذين قالوا : آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة ، وجملة آمنا مقول القول ، وبأفواههم متعلقان بقالوا ، أي : إن قولهم لا يتجاوز أفواههم ، والواو حالية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتؤمن فعل مضارع مجزوم بلم ، وقلوبهم فاعل ، والجملة في محل نصب حال (ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين) الواو عاطفة ، ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا، فيكون حالاً مبينة لشيء واحد، وقيل : الواو استئنافية ، ومن الذين خبر مقدم ، وسماعون مبتدأ مؤخر ، فيكون البيان بشيئين ، وعلى الوجه الأول تكون «سماعون» خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هم سماعون ، وللكذب متعلقان بسماعون ، و « سماعون » الثانية بدل من « سماعون » الأولى أو تأكيد لها ، ولقوم متعلقان بـ « سماعون » ، وآخرين صفة (لم يأتوك) الجملة صفة ثانية لقوم ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويأتوك فعل مضارع مجزوم وفاعل ومفعول به (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) الجملة صفة ثالثة ، ولا بد من حذف مضاف ، أي : حكم الكلم ، ومن بعد

مواضعه متعلقان بمحذوف حال ، أي : حال كونها من بعد وضع الله الكلم مواضعه ، وقد يحتمل أن يكون معناه : يحرفون الكلم عن مواضعه ، فتكون « بعد » وضعت موضع « عن » ، كما يقال : جئتك عن فراغي من الشغل ، يريد : بعد فراغي من الشغل ، والمراد بهم اليهود (يقولون : إن أُوتيتم هذا فخذوه) الجملة صفة رابعة ، ويقولون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل ، وإن شرطية ، وأوتيتم فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ، وهذا مفعول به ثان ، والأول التاء التي هي نائب فاعل ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة خذوه في محل جزم جواب الشرط، ولم يصلح أن يكون جواباً لأنه طلب والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول . (وإن لم تؤتوه فاحذروا) الواو حرف عطف ، وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتؤتوه فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو في الوقت نفسه فعل الشرط ، والواو نائب فاعل ، والهاء مفعول به ثان ، فاحذروا الفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة احذروا في محل جزم جواب الشرط (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويرد فعل الشرط ، والله فاعل ، وفتنة مفعول به ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، وتملك فعل مضارع منصوب بلن ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وله متعلقان بتملك ، ومن الله متعلقان بمحذوف حال من « شيئاً » لأنه في الأصل صفة ، وتقدم عليه ، وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) الجملة مستأنفة مسوقة للإيذان ببعد منزلة المنافقين في الفساد ، وإيغالهم في الضلالة . واسم الإشارة مبتدأ ، والذين خبر ، وجملة لم

يرد الله صلة الموصول ، وأن وما في حيزها في موضع نصب على أنه مفعول يرد ، وقلوبهم مفعول به ليطهر (لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) لهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال ، وخزي مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر ثان لاسم الإشارة ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم عطف على ما تقدم .

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٤٢) ﴾

اللغة :

(السحت) بضم الحاء وسكونها : الحرام ، وما خبث وقبح من المكاسب . فلزم عنه العار ، كالرشوة ، والجمع أسحات . وكان اليهود يأخذون الرشا على الأحكام . وترى في باب الفوائد نبذة عنه . ومن عجيب أمر السين والحاء إذا كانتا فاء للكلمة وعيناً لها أنها تدل على السحب والتأثير البعيد ، فسحب ذيله فانسحب هي أمّ هذا الباب . ومن مجاز الكلام سحبت الريح أذيالها . وانسحبت فيها ذلاذل الريح ، واسحب ذيلك على ما كان مني . ويقولون : ما استبقى الرجل ودّ صاحبه بمثل سحب الذيل على معايبه . ومادة السحت تقدمت ، ويقال : سحت الشحم من اللحم قشره ، وفلان مسحوت المعدة شَرِهٌ ،

عاميّ فصيح ، وسحجت الرياح الأرض أزالت ما على أديمها ، وسحّ الماءَ صبّه ، وسحّ المطرُ والدمع انثالا ، ولا يخفى ما في ذلك من معنى السحب والانزلاق ، وسحره معروف ، وإنه لمسَحّر : سُحر مرة بعد أخرى حتى تخبّل عقله . ولقيته سحَراً وسُحْرَةً . وجاء فلان بالسحر من القول : أي خلب العقول ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » . وعلى هذا النحو تطّرد هذه المادة ، ولا تختلّ عن هذا المعنى ، وهذا من الأعاجيب .

الاعراب :

(سمّاعون للكذب أكّالون للسحت) سماعون خبر لمبتدأ محذوف أي : هم سماعون ، والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما قبله ، أو التمهيد لما بعده . وللكذب متعلقان بـ « سماعون » ، ومثلها : أكالون للسحت (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) الفاء استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لسرد بعض ما يترتب على هذه الأحكام . وإن شرطية ، وجاءوك فعل ماض وفاعل ومفعول به ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة طلبية ، واحكم فعل أمر ، وبينهم ظرف متعلق بـ « احكم » وأو حرف عطف للتخيير ، وأعرض معطوف على « احكم » ، وعنهم متعلقان بـ « أعرض » ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وتعرض فعل الشرط مبني للمجهول ، وعنهم متعلقان بتعرض ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، ويضروك فعل مضارع منصوب بلن ، والواو فاعل ، والكاف مفعول به ، وشيئاً مفعول مطلق والجملة في محل جزم جواب الشرط ، (وإن حكمت

فاحكم بينهم بالقسط) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وحكمت فعل ماض وفاعل ، في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، واحكم فعل أمر ، وبينهم ظرف متعلق به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وبالقسط متعلقان بمحذوف حال ، أي : عادلاً (إن الله يحب المقسطين) إن واسمها ، وجملة يحب المقسطين خبرها ، والجملة مستأنفة للتعليل .

الفوائد :

روى الحسن قال : كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه ، فأراها إياه ، فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه ، فيأكل الرشوة ، ويسمع الكذب . وحكي أن عاملاً قدم من عمله ، فجاءه قومه ، فقدم اليهم العراضة ، وجعل يحدثهم بما جرى له . فقال أعرابي من القوم : نحن كما قال تعالى : « سمّاعون للكذب أكّالون للسحت » . وفي الحديث : « كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به » .

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟

ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ .

اللغـة :

(الربانيون) نسبة الى الرب ، على خلاف القياس . ويقال أيضاً : رِبّيّ بكسر الراء ، ورَبّوبيّ بفتح الراء ، وسنورد أشهر الأسماء التي أتت منسوبة على خلاف القياس في باب الفوائد . والرّبانيّ : هو المتألّه المتعبد .

(الأحبار) : الفقهاء ، واحده حبر ، بالفتح والكسر . قال الفرّاء: الكسر أفصح . وهو مأخوذ من التحبير والتحسين ، فإنهم يحبرونه ويزينونه . والحبر الأعظم عند المسيحيين : خلف السيد المسيح على الأرض ، وعند اليهود رئيس الكهنة .

الاعراب :

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) كلام مستأنف مسوق للتعجب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه ، مع أنه الحق ، كما نص على ذلك كتابهم الذي يدعون الإيمان به . وكيف استفهام تعجّبي في محل نصب على الحال ، ويحكمونك فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والكاف مفعول به ، والواو للحال ، وعندهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، والتوراة مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال من الواو في يحكمونك (فيها حكم الله ثم يتولون من بعد

ذلك وما أولئك بالمؤمنين) فيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وحكم الله مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال من التوراة ، ثم حرف عطف ، للترتيب مع التراخي ، ويتولون عطف على يحكمونك ، وفائدة العطف بثم الدالة على التراخي للدلالة على رسوخ تولّيهم وإعراضهم وإصرارهم على الإعراض عن الحكم الطويل ، بعد التأمل الطويل ، وظهور الآيات الدالة على صدق التحكيم • ومن بعد ذلك جار ومجرور متعلقان بيتولون أو حال،والواو عاطفة أو استئنافية، وما نافية حجازية ، واسم الاشارة مبني على الكسر في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ، والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر « ما » (إنا أنزلنا التوراة) كلام مستأنف مسوق لبيان رفعة التوراة ، وسمو مرتبتها ، ووجوب مراعاة أحكامها • وإن واسمها ، وجملة أنزلنا خبرها ، والتوراة مفعول به (فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) الجملة في محل نصب حال من التوراة، وفيها متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهدى مبتدأ مؤخر ، ونور عطف على هدى ، وجملة يحكم بها النبيون مستأنفة مبينة لعلو شأن التوراة ، ولك أن تجعلها حالاً ثانية من التوراة ، وبها متعلقان بيحكم ، والنبيون فاعل يحكم ، والذين صفة ، وجملة أسلموا صلة الموصول (للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله) الجار والمجرور متعلقان بيحكم ، وجملة هادوا صلة الموصول ، والمعنى : يحكمون بها فيما بينهم • ويجوز أن يتعلقا بأنزلنا ، أو بمحذوف صفة لهدى ونور ، والربانيون والأحبار معطوفان على « النبيون » ، و « بما استحفظوا » متعلقان بيحكم ، ومن كتاب الله متعلقان باستحفظوا ، واستحفظوا فعل ماض مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، ويجوز في « ما » أن تكون مصدريــة أو موصولية ، ويجوز أن يتعلق قوله : « من كتاب الله »

بمحذوف حال (وكانوا عليه شهداء) عطف على « استحفظوا » ، والواو اسم كان ، وعليه متعلقان بشهداء ، وشهداء خبر كانوا (فلا تخشوا الناس واخشون) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفتم هذا فلا تخشوا الناس ، ولا ناهية ، وتخشوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، والواو فاعل ، والناس مفعول به ، واخشون الواو عاطفة ، واخشون فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) عطف على ماتقدم ، ولا ناهية ، وتشتروا فعل مضارع مجزوم بلا ، وبآياتي متعلقان بتشتروا ، والباء داخلة على المتروك كما تقرر ، وثمناً مفعول به ، وقليلا صفة (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) الواو استئنافية ليكون الحكم عاماً ، فكل من ارتشى وحكم بغير حكم الله فقد كفر ، ومن اسم شرط جازم فيمحل رفع مبتدأ ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، وبما متعلقان بيحكم ، وجملة أنزل الله صلة الموصول ، فأولئك الفاء رابطة لجواب الشرط ، واسم الإشارة مبتدأ ، وهم مبتدأ ثان ، والكافرون خبر ، والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

في هذه الآية فن من فنون البلاغة دقيق المسلك ، قلّ من يتفطن اليه لأنه عميق الدلالة ، لا يسبر غوره إلا الملهمون الذين أشرقت نفوسهم بضياء اليقين والإلهام ، ولم يبوّب له أحد من علماء البلاغة من قبل ولكنه مندرج في سلك الإطناب من علم المعاني ، وذلك في

سياق قوله في صفة النبيين : « الذين أسلموا » • ومعلوم أن الاسلام من البدائه التي يفترض وجودها في الأنبياء ، وهم يتساوون فيها مع أقل أتباعهم من الآحـاد ، ولكن كما يراد إعظـام الموصوف بالصفة العظيمة يراد إعظام الصفة بموصوفها العظيم ، فاذا قلت : قرأت قصيدة للمتنبي الشاعر فليس المراد أن تمدح المتنبي بالشاعرية ، لأن هذه الصفة ، على عظمتها ، لا يتميز بها ، فإن أقل شاعر يوصف بها ، ولكنك تمدح الشاعرية بأن يندرج في عداد المتسمين بها هذا الشاعر العظيم ، ولهـذا كان القائـل في مديح النبي صلى الله عليـه وسلم محسناً غاية الإحسان :

فلئن مدحت محمداً بقصيدتي فلقـد مدحت قصيدتي بمحمد

وإلا فلو اقتصرنا على جعلها للمدح كما قرر الزمخشري وغيره لخرجنا على قانون البلاغة المألوف ، وهو الترقي من الأدنى الى الأعلى • فكيف يتفق هذا مع ما ورد في القرآن لو لم يكن الغرض مدح الصفة بالموصوف ، ألا ترى أن أبا الطيب المتنبي نفسه تزحزح عن مقـام البلاغة الأسمى في قوله :

شمسٌ ضحاها هلالٌ ليلتِها درٌّ تقاصـيرِها زبرجدُها

فقد نزل عن الشمس الى الهلال وعن الدرّ الى الزبرجد ، ومن ثم أخذ عليه النقاد القدامى هذه الهنة اليسيرة •

الفوائـد :

قواعد النسبة مبسوطة في كتب النحو ، ولكن هناك أسماء كثيرة

الاستعمال خالفت قواعد النسبة ، فأحببنا أن نورد أكثرها استعمالاً ليستظهرها الأديب ، فوضعنا جدولاً لبعض هذه الأسماء مرتبة على حروف الهجاء :

أنافي : نسبة الى أنف كبير •

أموي : نسبة الى أمية •

بهرانيّ : نسبة الى بهراء ، وهي قبيلة من بني قضاعة ، كانت مساكنها في سهل حمص ، وكانت تدين بالنصرانية شأن جاراتها تنوخ وتغلب •

بدوي : نسبة الى بادية •

بحراني : نسبة الى البحرين •

تهامي وتهام : نسبة الى تهامة •

ثقفي : نسبة الى ثقيف •

جُذَميّ : نسبة الى جذيمة •

جلولي : نسبة الى جلولاء ، وهي مدينة في العراق على طريق خراسان ، عندما انتصر العرب على جيش ملك ساسان •

حروري : نسبة الى حروراء ، وهو موضع في العراق ، غير بعيد عن الكوفة ، اجتمع فيه الخوارج الأولون عندما جهروا بالخروج على علي بن أبي طالب ، فقاتلهم وأبادهم في وقعة النهروان •

حرميّ : بكسر الحاء ، نسبة الى الحرمين ، أي : مسجدي مكة والمدينة •

حضرميّ : نسبة الى حضرموت •

دهريّ بضم الدال : نسبة الى دهر •

ديرانيّ : نسبة الى دير •

روحانيّ : نسبة الى روح •

رباني : نسبة الى رب •

رقباني : نسبة الى عظيم الرقبة •

رديني : نسبة الى ردينة ، وهو الرمح وردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح •

سليقي : نسبة الى سليقة •

شآم : نسبة الى الشام •

شعراني : نسبة الى كثير الشعر •

صدراني : نسبة الى كبير الصّدر •

صنعاني : نسبة الى صنعاء •

طائيّ : نسبة الى طيّء •

عبديّ : نسبة الى بني عبيدة •

عبشمي : نسبة الى عبد شمس •

عبدريّ : نسبة الى عبد الدار •

يمان : نسبة الى اليمن •

عبدلي : نسبة الى عبد الله .

فرهوديّ : نسبة الى فراهيد .

قرشي : نسبة الى قريش .

كنتي : نسبة الى كنت .

لحياني : نسبة الى كبير اللحية .

مروزي : نسبة الى مرو .

نباطي : نسبة الى الأنباط .

ناصري : نسبة الى الناصرة .

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٤٥) ﴾

الاعراب :

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن) الواو عاطفة وكتبنا فعل وفاعل ، والفعل معطوف على « أنزلنا » ، وعليهم متعلقان بكتبنا ، والضمير في « عليهم » يعود للذين هادوا ، وفيها متعلقان بمحذوف حال ، والضمير

يعود للتوراة ، وأن واسمها ، وبالنفس متعلقان بمحذوف خبرها ، وأن ومابعدها في تأويل مصدر محذوف في محل نصب مفعول به لكتبنا ، لأن الكتابة تقع عليه ، أي : قتل النفس بالنفس ، أي : مقتولة بالنفس ، والعين بالعين عطف ، أي : وفقء العين بفقء العين ، وجدع الأنف بجدع الأنف ، وصلم الأذن بصلم الأذن ، وقلع السنّ بقلع السنّ . وفي قراءة برفع هذه الأربعة على الابتداء والخبر (والجروح قصاص) عطف أيضاً . وقرىء بالرفع أيضاً . والمراد بالجروح مالا يمكن البتّ في الحكم فيه وأرى أن الأولى في الجروح الرفع ليكون « قصاص » خبره ، والتفاصيل في المطولات (فمن تصدق به فهو كفارة له) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، وتصدق فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبه متعلقان بتصدق ، والفاء رابطة للجواب ، وهو مبتدأ ، وكفارة خبر ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) الواو عاطفة ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، وبما جار ومجرور متعلقان بيحكم ، وجملة أنزل الله صلة الموصول ، فأولئك الفاء رابطة للجواب ، واسم الاشارة مبتدأ ، وهم مبتدأ ثان ، والظالمون خبره ، والجملة الاسمية « هم الظالمون » خبر أولئك ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

اللغــة :

(قفينا) قفـّى : أتى ، وقفى فلان زيداً وبزيد : أتبعــه إياه ، ويقال : قفـّيت على أثره بفلان : أي أتبعته إياه .

بين أبي حيان والزمخشري :

وقد ثارت مناقشة لطيفة بين الزمخشري وأبي حيان ، وهــذه خلاصتها : قال أبو حيـّان على تضمين قفينا معنى جئنا ، أي : ثم جئنا على آثارهم بعيسى بن مريم قافياً لهم . وليس التضعيف في « قفينا » للتعدية ، وذلك لأن « قفا » يتعدّى لواحد ، قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » . وتقول : قفا فلان الأثر إذا اتبعــه ، فلو كان التضعيف للتعدي لتعدى الى اثنين منصوبين ، وكان يكون التركيب ، **ثم قفينا على آثارهم عيسى بن مريم** ، وكان يكون عيسى هو المفعول الأول ، وآثارهم المفعول الثاني . لكنه ضـّمن معنى « جاء » وعـدّي بالباء ، وتعدى « الى آثارهم » بعلى . هذه خلاصة ما قاله أبو حيان ، وأطال في هذه المسألة ليرد على الزمخشري ما أعربه إذ قال ما نصه :

ما يقوله الزمخشري :

« قفيته مثل عقبته إذا أتبعته ، ثم يقال : قفيته بفلان وعقبته به ، فتعديه الى الثاني بزيادة الباء ، فإن قلت : فأين المفعول الأول في الآية ؟ قلت : هو محذوف ، والظرف الذي هو « على آثارهم » كالساد مسدّه ، لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه » .

استطراد أبي حيّان :

واستطرد أبو حيان في الرد على الزمخشري فقال : وكلامه يحتاج الى تأويل ، وذلك أنه جعل « قفّيته » المضعف بمعنى « قفوته » ، فيكون « فعّل » بمعنى « فعَل » ، نحو : قدّر الله وقدَر الله ، وهو أحد المعاني التي جاءت لها « فعل » . ثم عداه بالباء ، وتعدية المتعدي لمفعول بالباء لثانٍ قلّ أن يوجد ، حتى زعم بعضهم أنه لا يوجد ، ولا يجوز . فلا يقال في : طعم زيد اللحم : أطعمت زيداً باللحم ، والصحيح أنه جاء على قلة ، تقول : دفع زيد عمراً ، ثم تعديه بالباء فتقول : دفعت زيداً بعمرو ، أي جعلت زيداً يدفع عمراً . وكذلك صكّ الحجر الحجر ، ثم تقول : صككت الحجر بالحجر ، أي جعلته يصكّه . وأما قوله : المفعول الأول محذوف والظرف كالسّاد مسدّه ، فلا يتجه . لأن المفعول هو مفعول به صريح ولا يسد الظرف مسده . الى أن يقول : وقول الزمخشري : « فقد قفى به إياه » فصل الضمير ، وحقه أن يكون متصلاً .

الاعراب :

(وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة)

كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحكام الإنجيل بعد بيان حكم التوراة . وقفينا فعل وفاعل ، وعلى آثارهم وبعيسى متعلقان بقفينا ، وابن مريم بدل أو صفة ، ومصدقاً حال ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً » ، وبين يديه ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وهو « ما » ، ومن التوراة متعلقان بمحذوف حال (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) الواو عاطفة ، وآتيناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ، والإنجيل مفعول به ثان ، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهدى مبتدأ مؤخر ، ونور عطف على هدى ، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (ومصدقاً لما بين يديه من التوراة) ومصدقاً عطف على محل الجملة ، فهو في حكم المنصوب على الحال ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً »، وبين يديه ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وهدى وموعظة للمتقين) الواو عاطفة وهدى عطف منتظم في سلك « مصدقاً » فهما نصب على الحال . وأجاز بعضهم أن يكونا مفعولين لأجلهما ، وفيه بعد ، لوجود الواو وموعظة عطف على هدى ، وللمتقين متعلقان بمحذوف صفة (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) الواو عاطفة واللام لام الأمر ، ويحكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، وأهل الإنجيل فاعل يحكم ، وبما متعلقان بيحكم ، وفي قراءة سبعية : « وليحكم » ، بجعل اللام للتعليل ، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بآتينا أو بقفينا ، فيه جار ومجرور متعلقان بيحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) تكرر إعراب هذه الجملة ، وأفاد التكرار معنى التوكيد .

البلاغـة :

١ ـ التشبيه البليـغ ، وهو تشبيه الإنجيـل بالنور والهدى ، وحذف الأداة ليكونا نفس الإنجيل للمبالغة .

٢ ـ التكرار : في الجمل زيادة في التوكيد كما تقدم .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

اللغـة :

(مهيناً) أي : شاهداً ورقيباً على سائر الكتب ، لأنه يشهد لها بالصحّة والثبات . قال حسان بن ثابت :

إنّ الكتـاب مُهيمنٌ لنبيّنا والحقّ يعرفـه ذوو الألبـاب

وقد اختلف في أصل فعله ، هل هو أصل بنفسه ؟ أي : إنه ليس

مبدلاً من شيء . يقال : هيمن يهيمن ، واسم الفاعل مهيمن . كبيطر يبيطر ، فهو مبيطر . أو أن هاءه مبدلة من همزة ، وأنه اسم فاعل من آمن غيره من الخوف ، والأصل مؤأيمن بهمزتين ، أبدلت الثانية ياء كراهية اجتماع همزتين ، ثم أبدلت الأولى هاء .

(شرعة) : الشرعة بكسر الشين : الدين ، والشرع مثله ، مأخوذ من الشريعة ، وهي مورد الناس للاستسقاء . وسميت بذلك لوضوحها وظهورها . وجمعها شرائع . وشرّع الله لنا كذا يشرعه : أظهره وأوضحه . والمشرعة بفتح الميم والراء : شريعة الماء ، قال الأزهري : ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدّاً لا انقطاع له ، كماء الأنهار ، ويكون ظاهراً أيضاً ، ولا يستسقى منه برشاء . فإن كان من مياه الأمطار فهو الكزع بفتحتين والناس في هذا الأمر شرع بفتحتين ، وتسكن الراء للتخفيف : أي سواء .

(منهاجاً) : في المختار : النهج بوزن الفلْس : المنهج ، أي المذهب . والمنهاج : الطريق الواضح ، ونهج الطريق : أبانه ، ونهجه أيضاً : سلكه ، وبابهما قطع . والنهج بفتحتين : تتابع النفس . وفي المصباح : « ونهج الطريق ينهج بفتحتين وضح واستبان ، وأنهج بالألف مثله ، ونهجته وانتهجته : أوضحته ، يستعملان لازمين ومتعديين » .

الاعراب :

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق) الواو عاطفة وأنزلنا فعل وفاعل ، واليك متعلقان بأنزلنا ، وبالحق متعلقان بمحذوف حال من الكتاب (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) مصدقاً حال من الكتاب ، ولما متعلقان بـ « مصدقاً » وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، ويديه مضاف اليه ، ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال .

وعنى بالكتاب الجنس ، أي : جنس الكتب المنزلة من السماء (ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله) ومهيمناً عطف على « مصدقاً » وعليه متعلقان بـ « مهيمناً » ، فاحكم : الفاء الفصيحة ، أي : إذا كان شأن القرآن هذا فاحكم بين أهل الكتاب عند تحاكمهم اليك بما أنزل الله ، واحكم فعل أمر وبينهم ظرف متعلق بـ « فاحكم » وبما متعلقان باحكم، وجملة أنزل الله صلة الموصول (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ؛ وأهواءهم مفعول به ، وعما جاءك متعلقان بمحذوف حال ، أي : منحرفاً ، وجملة جاءك صلة ، وقيل : تضمن « تتبع » معنى « تنحرف » أو « تتزحزح » ، فيتعلق الجار والمجرور به ، ومن الحق متعلقان بمحذوف حال من فاعل جاءك ، أو من نفس « ما » الموصولة (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) كلام مستأنف مسوق لحمل أهل الكتابين من معاصريه على الانصياع لما جاء به . ولكل متعلقان بـ « جعلنا » ، أو أنه مفعول أول لجعلنا ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للاسم المحذوف الذي ناب عنه تنوين العوض اللاحق بـ « لكل »، أي لكل أمة منكم ، وشرعة مفعول جعلنا ، ومنهاجاً عطف على شرعة (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وشاء الله فعل وفاعل ، واللام واقعة في جواب لو ، وجملة جعلكم لا محل لها لأنها واقعة جواب شرط غير جازم ، وأمة مفعول جعلكم الثاني ، وواحدة صفة (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) الواو حالية ، ولكنْ حرف استدراك مهمل لأنه مخفف ، وليبلوكم اللام للتعليل ، ويبلوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره : أراد ، وفيما متعلقان بيبلوكم ، وجملة آتاكم صلة الموصول (فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً) الفاء الفصيحة ، أي : إذا تبينتم وجه الحكمة في هذا

فاستبقوا ، واستبقوا : فعل وفاعل ، والخيرات مفعول به ، أو منصوب بنزع الخافض ، ولعله أولى ، لأن الأصل في « استبق » أن يعدّى الفعل بـ « إلى » إلا اذا ضمنت « استبق » معنى « ابتدر » ، فيتعدى بنفسه . والى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، والجملة مستأنفة مسوقة سياق التعليل لاستباق الخيرات ، وجميعاً حال من الكاف لأنها فاعل في المعنى ، أي : ترجعون جميعاً (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) الفاء عاطفة على معنى مرجعكم ، أي : ترجعون فينبئكم ، والكاف مفعول به ، وبما متعلقان بينبئكم ، وجملة كنتم صلة الموصول ، والتاء اسم كان ، وجملة تختلفون خبرها .

البلاغة :

في إظهار الضمير بقوله : « الكتاب » بيان لأهميته ، وأنه المرجع والملاذ والمعتصم إذا حزب الأمر ، وهو داخل في نطاق علم المعاني . ومنه في الشعر قول البحتري في مطلع سينيته :

صنت نفسي عما يدنس نفسي　　وترفعت عن جدا كلّ جبس

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

الاعراب :

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله) الواو مستأنفة ، والكلام مستأنف لبيان كيفية الحكم بينهم ، وجعلها الزمخشري عاطفة على الكتاب ، ولا يخفى ما فيه من بعد ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، ومتعلق الجار والمجرور محذوف ، أي: ووصّيناك بأن احكم ، واختار أبو حيّان أن يكون المصدر المؤول مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : وحكمك بما أنزل الله أمرنا وقولنا ، أو تقدره بقولك : ومن الواجب حكمك بما أنزل الله ، ولا بأس بقوله. وبينهم ظرف متعلق بمحذوف حال ، وبما متعلقان بـ « احكم » ، وجملة أنزل الله صلة الموصول (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك) الجملة معطوفة على « احكم » ، ولا ناهية ، وتتبع فعل مضارع مجزوم بـ « لا » ، وأهواءهم مفعول به ، واحذرهم عطف أيضاً ، وأن يفتنوك مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، أي : من أن يفتنوك . ولك أن تجعل المصدر المؤول بدل اشتمال من الهاء في « واحذرهم » لأنهم اشتملوا على الفتنة ، وأجازوا أن يكون المصدر مفعولاً لأجله ، على تقدير لام العلة ، ولا النافية ، وأرى فيه تكلفاً ، ولكن كثيراً من المعربين أعربوه كذلك (عن بعض ما أنزل الله إليك) الجار والمجرور متعلقان بيفتنوك ، وما اسم موصول في محل جر بالاضافة ، وجملة أنزل الله صلة ، واليك متعلقان بأنزل (فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وتولوا فعل ماض وفاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وجملة اعلم في محل جزم جواب الشرط ، وأنما كافة ومكفوفة ، وهي وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلم ، ويريد فعل مضارع ، والله فاعل ، والمصدر المؤول مفعول يريد ، وببعض متعلقان بيصيبهم

(وإن كثيراً من الناس لفاسقون) الواو الاستئنافية ، وإن واسمها ، ومن الناس متعلقان بمحذوف صفة لكثير ، واللام المزحلقة ، وفاسقون خبر « إن » .

البلاغـة :

الإبهام في قوله : « ببعض ذنوبهم » . والتولّي ـ على عظمه وجسامته وفداحة التطاول به ـ واحد منها . والمراد أن لهم ذنوباً كثيرة العدد ، والتولي من جملتها وواحد منها . فما أخسر صفقتهم وما أبشع ما اقترفوه . واستعمال « بعض » في الإبهام وارد كثيراً في كلامهم ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة في معلقته :

ترّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها

أراد نفسه ، وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام ، يقول : إني تراك أماكن إذا لم أرضها إلا أن يعتلق بنفسي حمامها فلا يتسنى لها البراح . ومن جعل « بعض النفوس » بمعنى كل النفوس فقد أخطأه ، لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب ، فكأنه قال : نفساً كبيرة .

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

الاعراب :

(أفحكم الجاهلية يبغون) الكلام معطوف على ما تقدم ، مسوق لبيان نمط من تعنّتهم ، وجريهم على سبيل الباطل . والهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة على مقدّر يقتضيه المقام ، أي : أيتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية ؟ وحكم مفعول به مقدم لقوله : « يبغون » ، والجاهلية مضاف اليه ، ويبغون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وأحسن خبره ، ومن الله متعلقان بأحسن ، وحكماً تمييز ، ولقوم متعلقان بمحذوف حال ، وقال الجلال وغيره : اللام بمعنى عند ، متعلقة بأحسن ، أي : عند قوم يوقنون ، وجملة يوقنون صفة لقوم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) تقدم إعراب النداء ، ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بـ « لا » ، والواو فاعل ، واليهود مفعول به ، والنصارى عطف على اليهود ، وأولياء مفعول به ثان ، والجملة مستأنفة (بعضهم أولياء بعض) بعضهم مبتدأ ، وأولياء بعض خبر ، والجملة الاسمية صفة لأولياء أو ابتدائية ، ذكرت بمثابة التعليل للنهي (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتولهم فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ، فإنه : الفاء رابطة ، وان واسمها ، ومنهم خبرها ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إن واسمها ، ولا نافية ، ويهدي فعل مضارع ، والقوم مفعول به ، والظالمين صفة ، والجملة تعليلية لا محل لها .

البلاغـة :

في قوله : « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » فنّ طريف ، وهو فن الإيغال ، وفحواه أن يستكمل المتكلم كلامه قبل أن يأتي بمقطعه ، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام . وهو ضربان :

١ ـ إيغال تخيير : كما في هذه الآية ، فإن المعنى قد تمّ بقوله : « ومن أحسن من الله حكماً » ، ولما احتاج الكلام الى فاصلة تناسب ما قبلها وما بعدها ، أتت تفيد معنى زائداً ، لولاها لم يحصل ، وذلك أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل ليبقى توحيده الشريك في الحكم الذي انفرد به ، ولم يكن له معارض فيه ولا مناقض له ، ويحصل من حكمته وضع الشيء في موضعه فيؤمَنُ منه وضع الحق في غير موضعه ، وينفي العدل عنه الجور في الحكم ، ثم عدل عن قوله : « يعلمون » الى قوله : « يوقنون » ليكون علمهم بربهم علم قطع ويقين .

الإيغال الاحتياطي في الشعر :

أما الإيغال الاحتياطي في الشعر فهو في القوافي خاصة لا يعدوها ، ويسميه بعضهم التبليغ ، حكى الحاتميّ عن عبد الله بن جعفر عن محمد ابن يزيد المبرّد قال : حدثني التوزيّ قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً ، أو يأتي الى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقض كلامه قبل القافية ، فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى . قلت : نحو من ؟ قال : نحو الأعشى إذ يقول :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم المثل بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج الى القافية قال : « الوعل » . قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحطّ من قنّة الجبل على قرنه فلا يضيره . قلت : ثمّ نحو من ؟ قال : نحو ذي الرمة بقوله :

قف العيس في أطـلال ميّة واسأل

رسوماً كأخـــلاق الرّداء المسلسل

فتسم كلامــه ، ثم احتاج الى القافية فقــال : المسلسل ، فزاد شيئاً . وقوله :

أظن الذي يجدي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان المفصّل

فتمّم كلامه ، ثم احتاج الى القافية ، فقال : « المفصل » ، فزاد شيئاً أيضاً . وليس بين الناس اختلاف في أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف الفرس :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول : هزيز الريح مرت بأثأب

فبالغ في صفته وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ، ويبتل عطفه بالعرق ، ثم زاد « الأثأب » إيغالاً في صفته ، وهو شجر للريح في أضعاف غصونه حفيف عظيم وشدّة صوت . وأتبعه زهير ابن أبي سلمى فقال :

كأن فتّاتَ العهن فيكل منزلٍ نزلن به حبّ الفنا لم يحطّم

فأوغل في التشبيه إيغالاً بتشبيه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطم ، لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة ، وكان خالص الحمرة . وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة :

غرّاء فرعاء مصقولٌ عوارضها

تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

فأوغل بقوله : « الوحل » بعد أن قال : « الوجي » وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني :

إذا ما علت منّا ذؤابة شارب   تمشّت به مشي المقيّد في الوحل

ويقول : قاتله الله ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل .

٢ ــ إيغال احتياط :

وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يقطعه ، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً تتمة للمبالغة ، كقوله تعالى : « ولا تسمع الصم الدعاء » ، ثم علم عز وجل أن الكلام يحتاج الى فاصلة تماثل مقاطع ما قبلها وما بعدها فأتى بها تفيد معنى زائداً على معنى الكلام حيث قال : « إذا ولّوا مدبرين » . فإن قيل : ما معنى مدبرين ؟ وقد أغنى عنها ذكر التولي ؟ قلنا : ذلك لا يغنى عنها ، إذ التولي قد يكون بجانب دون جانب ، كما يكون الإعراض . وسيأتي المزيد منها عند الكلام على سورة النمل إن شاء الله تعالى .

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ (٥٣) ﴾

اللغــة :

(دائرة) : الدائرة من الصفـات الغالبة التي لا يذكـر معها موصوفها • وفرق الراغب في مفرداته : بين الدائرة والدولة بأن الدائرة هي الخط المحيط ، ثم عبّر بها عن الحادثة ، وإنما تقال في المكروه ، والدولة في المحبوب • وعن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ لي موالي من يهود ، كثيراً عددهم ، وإني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ، وأوالي الله ورسوله • فقال عبد الله بن أُبيّ : إني رجـل أخاف الدوائر ، لا أبرأ من ولايـة مواليّ • وهم يهود بني قينقاع •

(حبطت) أي بطلت التي كانوا يتكلفونها في رأي الناس •

الاعراب :

(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) يجوز أن تكون الفاء استئنافية ، والكلام مستأنفاً مسوقاً لبيان كيفية ولائهم ولسببه

ولما يئول اليه أمرهم ومصيرهم . ويجوز أن تكون عاطفة والكلام معطوفاً على قوله : « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » . وعلى كل حال لا محل لها ، وترى فعل مضارع ، والرؤية إما بصرية أو علمية ، والذين مفعول به ، وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرض مبتدأ مؤخر ، والجملة الاسمية صلة الموصول ، وجملة يسارعون إما حال إذا كانت الرؤية بصرية ، وإما مفعول به ثان إذا كانت الرؤية علمية ، وفيهم جار ومجرور متعلقان بيسارعون . (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) الجملة في محل نصب على الحال من ضمير « يسارعون » وجملة نخشى في محل نصب مقول القول ، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها مفعول نخشى ، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، ودائرة فاعل (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) الفاء استئنافية ، وعسى من أفعال الرجاء وتعمل عمل « كان » ، والله اسمها ، وأن يأتي مصدر مؤول خبرها ، وقد تقدم أن الأكثر في خبر عسى أن يكون فعلاً مضارعاً مقترناً بأنْ ، وبالفتح متعلقان بيأتي ، أو أمر معطوف على الفتح ، ومن عنده متعلقان بمحذوف صفة لأمر (فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين) الفاء عاطفة أو سببية ، ويصبحوا معطوفة على يأتي ، أو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ، لأنها سبقت بعسى ، وهي للرجاء ، ويصبحوا فعل مضارع ناقص ، الواو اسمها ، وعلى ما متعلقان بنادمين ، وجملة أسروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وفي أنفسهم متعلقان بأسروا ، ونادمين خبر « أصبح » (ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لبيان ما يقوله المؤمنون . ويقول الذين فعل مضارع وفاعل ، وجملة آمنوا صلة الموصول ، وقرىء بنصب « يقولَ » عطفاً على « أن يأتي » ، وقرىء من دون واو ، فهي

مستأنفة أيضاً . والهمزة للاستفهام التعجبي ، واسم الاشارة مبتدأ ، والذين خبر ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وجملة أقسموا صلة الموصول ، وبالله متعلقان بأقسموا ، وجهد أيمانهم مفعول مطلق أو حال (إنهم لمعكم) الجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر إن (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) جملة مستأنفة ، قيل : هي من كلام الله ، وعليه أكثر المعربين . وقيل : هي من قول المؤمنين ، وعليه الزمخشري وأبو حيّان . وأعمالهم فاعل حبطت ، والفاء عاطفة ، وأصبحوا فعل ماض ناقص ، والواو اسمها ، وخاسرين خبرها .

البلاغة :

في قوله تعالى : « حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين » فن سماه قدامة الإغراب والطرفة . وهو على ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم يكون الإغراب منه في اللفظ ، وهو كثير .

٢ ـ قسم يكون الإغراب منه في المعنى ، كقول المتنبي :

يُطَمِّعُ الطيرَ فيهم طولُ أكلهم
حتى تكاد على أحيائهم تقعُ

فإنه عمد الى المعنى المعروف من كون الطير إنما تقع على القتلى وتتبع الجيوش ، ثقة بالشبع ، فتجاوزه بزيادة المبالغة المستحسنة لاقترانها بـ « تكاد » الى ما قال ، فحصل في بيته من الإغراب والطرفة ، ما لا يحصل لغيره .

٣ ـ وقسم لا يكون الإغراب في معناه ولا في ظاهر لفظه ، بل في تأويله ، وهو الذي إذا حمل على ظاهره كان الكلام معيباً وإذا تؤوّل رده التأويل الى نمط من الكلام الفصيح ، فأماط عن ظاهره العيب . والآية الكريمة منه ، فإن لقائل أن يقول : إن لفظة « أصبحوا » في الظاهر حشو لا فائدة فيه ، فإن هؤلاء المخبر عنهم بالخسران قد أمسوا في مثل ما أصبحوا ، ومتى قلت : أصبح العسل حلواً ، كانت لفظة « أصبح » زائدة من الحشو الذي لا فائدة فيه ، لأنه أمسى كذلك . وقد تحيل الرمانيّ لهذه اللفظة في تأويل تحصل به الفائدة الجليلة التي لولا مجيئها لم تحصل ، وهي أنه لما قال : لما كان العليل الذي قد بات مكابداً آلاماً شديدة تعتبر حاله عند الصباح ، فاذا أصبح مفيقاً مستريحاً من تلك الآلام رجي له الخير ، وغلب على الظنّ برؤه وإفاقته من ذلك المرض ، واذا أصبح كما أمسى تعيّن هلاكه ، بجريان العادة بهيجان الإعلال في الليل وسكونه عند الصباح . وشبهت حال الأشقياء بالعليل الذي أصبح من الألم على ما أمسى ، فهو ممن ييئس من اصلاحه، وعلى هذا تكون لفظة « فأصبحوا » قد أفادت معنى حسناً جميلاً ، وخرجت عن كونها حشواً غير مفيد . ولما أخبر الله سبحانه بأنه حبطت أعمالهم علم بالقطع أنهم أصبحوا خاسرين ، فلفظة « أصبحوا » لا يصلح غيرها في موضعها ، ولا يتم المعنى إلا بها . وما مثّل به الرماني من قوله : « أصبح العسل حلواً وقد أمسى كذلك » إنما يقال هذا في الأمور الواقعة في دار الدنيا ، لأن زمانها فيه صباح ومساء ، فلما أصبح فيه على الحال التي يمسي عليها فذكر الصباح فيه والمساء حشو لا فائدة فيه ، وأما يوم القيامة الذي لا مساء فيه فإن تمثيله بما أصبح في الزمن الذي يصاحبه مساء تمثيل غير مطابق له .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي

اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الكلام مستأنف مسوق لبيان حال المرتدين على الإطلاق . وقد تقدم اعراب النداء كثيراً . ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويرتد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون وحرك بالفتحة لخفتها كما تقدم في قاعدة المضعّف ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال ، وقرىء « يرتدد » بفكّ الإدغام . وعن دينه متعلقان بيرتد ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة سوف يأتي الله في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ويأتي الله فعل وفاعل ، وبقوم متعلقان بيأتي ، وجملة يحبهم صفة لقوم ، وجملة يحبونه عطف على جملة يحبهم . وفي محبة الله للعبد ، وحب العبد لله ، أبحاث شيقة اشتجر حولها الخلاف ، وليس هذا مقام بحثها ، فليرجع اليها القارىء في المطوّلات (أذلّة على المؤمنين أعزة على الكافرين) أذلة صفة ثانية لقوم ، وعلى المؤمنين متعلقان بأذلة ، وهو صفة مشبهة ، وأعزة صفة ثالثة ، وعلى الكافرين متعلقان بأعزّة (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) جملة يجاهدون صفة رابعة لقوم ، وجملة ولا يخافون عطف على جملة يجاهدون ، فهي بمثابة صفة خامسة (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) الجملة مستأنفة ،

واسم الاشارة مبتدأ ، وفضل الله خبره ، و « ذلك » قد يشار به الى المفرد والمثنى والمجموع ، وهو هنا يشير به الى الأوصاف التي أولها : يحبهم ويحبونه ، وجملة يؤتيه خبر ثان ، ولك أن تجعلها مستأنفة ، والهاء مفعول به أول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان ليؤتيه ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وواسع خبر أول ، وعليم خبر ثان .

البلاغة :

١ ـ محبة العبد لله بطاعته له ، وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبّب بالسبب .

٢ ـ الطباق بين أذلة وأعزّة .

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

الاعراب :

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لتقرير الحكم فيمن يوالي الله ورسوله والمؤمنين . وإنما كافة ومكفوفة ، ووليكم خبر مقدم ، والله مبتدأ مرفوع ويجوز العكس ، ورسوله

عطف على الله ، وكذلك الذين آمنوا ، وجملة آمنوا صلة الموصول (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) اسم الموصول بدل من الذين ، وجملة يقيمون صلة ، والصلاة مفعول به ، ويؤتون الزكاة عطف على ما قبله (وهم راكعون) الواو حالية ، وهم مبتدأ ، وراكعون خبر ، والجملة في محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، والجملة معطوفة على ما سبقها ، فتكون مندرجة في خبر الصلة لاسم الموصول (ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتولّ فعل الشرط ، والله مفعوله ، ورسوله عطف على الله ، والذين آمنوا عطف أيضاً (فإن حزب الله هم الغالبون) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن واسمها ، وهم ضمير فصل لا محل له ، والغالبون خبر إن ، أو « هم » مبتدأ ، والغالبون خبر « هم » ، وجملة « هم الغالبون » خبر « إن » ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ويجوز أن يكون جواب الشرط محذوفاً لدلالة الكلام عليه ، أي : يغلب ، ويكون قوله « فإن حزب الله هم الغالبون » دالاً عليه ، وقد رجح هذا القول ابن هشام في المغني .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً) كلام مستأنف مسوق لخطاب بعض المؤمنين وتحذيرهم من المنافقين • وقد تقدم إعراب كلمة النداء ، ولا ناهية ، وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، والذين مفعول به ، وجملة اتخذوا صلة الموصول ، ودينكم مفعول به أول ، وهزواً مفعول به ثان ، ولعباً عطف على « هزواً » (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء) من الذين الجار والمجرور حال من الموصول الأول ، أو من فاعل اتخذوا ، وجملة أوتوا صلة ، وأتوا فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، والكتاب مفعول به ثان ، ومن قبلكم متعلقان بأتوا ، والكفار معطوف على الذين أوتوا ، وقرىء بالجر عطفاً على الموصول المجرور بمن • قال مكيّ : لولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض لقوته في الإعراب وفي المعنى • وأولياء مفعول به ثان لتتخذوا (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الواو عاطفة ، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ،ومؤمنين خبر كنتم ، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله ، أي فاتقوا الله (وإذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً) الواو عاطفة ، على صلة الذين الواقع مفعولاً به ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة ناديتم في محل جر بالإضافة ، والى الصلاة متعلقان بناديتم ، وجملة اتخذوها لا محل

لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به أول ، وهزواً مفعول به ثان ، ولعباً عطف عليه (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) اسم الاشارة مبتدأ والباء حرف جر ، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ولا نافية ، ويعلقون فعل مضارع ، والواو فاعل ، والجملة صفة لقوم .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

اللغة :

(ينتقمون) : مضارع نقم ، وفيه لغتان : الفصحى حكاها ثعلب في فصيحه : نقَم بفتح القاف ينقِم بكسرها ، والأخرى : نقِم بكسر القاف ينقَم بفتح القاف ، حكاها الكسائي . ومعناه تسخطون وتكرهون ، وقيل : تنكرون . قال عبيد الله بن قيس الرّقيّات :

ما نقموا من بني أمية إلاّ أنّهم يحلمون إن غضبوا

الاعراب :

(قل : يا أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة أهل الكتاب من بني إسرائيل . وقل : فعل أمر ، ويا حرف نداء ، وأهل الكتاب منادى مضاف (هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) الجملة مقول القول ،

وهل حرف استفهام إنكاري وتنقمون فعل مضارع والواو فاعل ، ومنا متعلقان بتنقمون ، وإلا أداة حصر ، وأنْ وما بعدها في تأويل مصدر مفعول تنقمون ، وقيل المصدر منصوب على أنه مفعول لأجله ، والمفعول به محذوف ، والأول أرجح ، وبالله متعلقان بآمنا ، والمعنى ما تكرهون منا إلا الإيمان أو لا تسخطون علينا إلا لأجل إيماننا (وما أنزل الينا وما أنزل من قبل) عطف على المصدر المؤول ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وإلينا متعلقان بأنزل ، و « ما » الثانية عطف على « ما » الأولى ، وجملة أنزل صلة الموصول ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وأن أكثركم فاسقون) الواو عاطفة ، وقرأ الجمهور بفتح « أن » فهي في تأويل مصدر محله الرفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، والتقدير : وفسقكم ثابت معلوم عندكم ، لأنكم علمتم أننا على الحق ، وأنكم على الباطل ، فإن عنصريتكم وحبكم للرئاسة وجمع الأموال أهاب بكم الى ركوب هذا المركب الخشن . ويحتمل أن يكون محل المصدر النصب عطفاً على « أن آمنا » ، والمعنى : وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان . أو تكون الواو للمعية ، ويكون المصدر المؤول مفعول معه ، والتقدير : وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون . ويحتمل أن يكون محله الجر عطفاً على الله ، أي : وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله ، وبما أنزل ، وبأن أكثركم فاسقون .

البلاغة :

في هذه الآية فن طريف ، وهو توكيد المدح بما يشبه الذم . وهو فنّ ذائع الشهرة ، ولكنه قليل الأمثلة . ولم أجد منه في القرآن إلا هذه الآية ، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الجاري مجرى التوبيخ

على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم بأن يأتي بعد الاستفهام ما يجب أن ينقم على فاعله بما يذم به ، فلما أتى بعد الاستفهام ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم . وقد عرف علماء البلاغة هذا الفنّ بأنه استثناء صفة مدح من صفة ذم ، منفية عن الشيء ، بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية . ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

والتأكيد فيه واضح ، فذكر أداة الاستثناء وهي « غير » قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها ، فاذا وليتها صفة مدح جاء التأكيد . وفلول السيوف من كثرة الضراب في الحروب من مجال الفخر ودواعي الشجاعة . ومن هذا النوع أن تثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب ذلك بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » . فذكر أداة الاستثناء ، وهي « بيد » الموازنة لـ « غير » وزناً ومعنى قبل ذكر ما بعدها ، ثم التعقيب بصفة مدح أخرى وهي كونه من قريش التي هي أفصح العرب ، تزيد تأكيد المعنى حسناً . وقال النابغة منه :

فتى كملت أوصافه غير أنه جواد فما يبقي على المال باقيا

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾

الاعراب :

(قل : هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة اليهود بما يليق بتحديهمْ وتعنتهم وإيغالهم في الكفر . وقل فعل أمر ، والجملة الاستفهامية مقول القول ، وهل حرف استفهام، وأنبئكم فعل مضارع في محل نصب ، والكاف مفعوله الأول ، وبشرٍّ جار ومجرور متعلقان بمحذوف هو المفعول الثاني ، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بـ « شرّ » ، لأنه اسم تفضيل ، ومثوبة تمييز لشر ، وهو تمييز نسبة ، لأن الشر واقع على الأشخاص ، وسيأتي مزيد من التفصيل في باب البلاغة . وعند ذلك متعلقان بحذوف حال (من لعنه الله وغضب عليه) من اسم موصول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، فإنه لما قال : هل أنبئكم بشر مِن ذلك ؟ فكأن قائلاً قال : مَنْ ذلك ؟ فقيل : هو من لعنه الله ، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة ويجوز أن يكون محل « مَنْ » الجر على البدلية من « شر » ، وجملة لعنه الله لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة غضب عليه عطف على الصلة (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) الواو عاطفة ، وجعل عطف على لعنه الله ، ومنهم متعلقان بمحذوف مفعول به أول ، والقردة هو المفعول الثاني ، والخنازير عطف على القردة ، وعبد فعل ماض وهو عطف على صلة « ما » ، كأنه قيل : ومن عبد الطاغوت ، حذف الموصول وأقيمت الصفة مقامه (أولئك شر مكاناً وأضلّ عن سواء السبيل) الجملة مفسرة لا محل لها ، واسم الإشارة مبتدأ ، وشر خبر ، ومكاناً تمييز ، وأضل عطف على شر ، وعن سواء السبيل متعلقان بأضلّ .

البلاغـة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من أنواع البلاغة ندرجها فيما يلي:

١ ـ المجاز المرسل في قوله : « مثوبة » ، والعلاقة الضدية ، مثل : « فبشرهم بعذاب أليم » . والمراد بهذا المجاز التهكم . ومجمل المعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم لعباً ولهواً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار : هل أنبئكم بشرٍّ من أهل ذلك الذي تنقمونه منا ، وشر من مثوبته ؟ أي : عقابه . وقد أخرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم ، وإلا فلا شركة بين المؤمنين وبينهم في أصل العقوبة ، حتى يقال : إن عقوبة أحـد الفريقين شرٌّ من عقوبة الآخر ، ولكنهم حكموا بأن دين الاسلام شرٌّ فقيل لهم : هبوا الأمر كذلك ، ولكن لعنة الله تعالى وغضبه ، والإبعاد عن رحمته ، والطرد من ساحة رضاه ، ومسخ الصورة الى أقبح أنواع الحيوان وأرذله شرٌّ من ذلك الذي تزعمون أنه شر ، وأنت تعرف ما لنوعي القردة والخنازير من الخسة والحقارة ، وما لهما في صدور الدهماء والخاصة من القبح والتشويه وشناعة المنظر ، ونذالة النفس ، وحقارة القدر ، ووضاعة الطبـع ، وسماجة الشكل والخلق ، وقبح الصوت ودناءة الهمة ، مما ليس لغيرهما من سائر أنواع الحيوان .

٢ ـ التهكم ـ وقد انطوى في المجاز المرسل . وتقدم الكلام على التهكم مفصلاً .

٣ ـ المجاز المرسل : في قوله : « شر مكاناً » ، وعلاقته المحلية . فقد ذكر المكان وأراد أهله ، وقد تقدم أيضاً .

الفوائد :

قد تقول : إنه لا بد في اسم التفضيل من مفضّل ومفضل عليه ؛ فكيف يقال : إنهم شر من المؤمنين ، والمؤمنون لا شر عندهم البتة ؟ والجواب أنه جاء على سبيل التنزيل والتسليم للخصم على زعمه ، تبكيتاً له ومناداة عليه بالحجة الدامغة ، أو أنه خاص بالكفار ، وهم طبقات متفاوتة في نسبة الشر اليها .

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذا جاءوكم قالوا آمنا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاءوكم في محل جر بالإضافة ، وجاءوكم فعل وفاعل ومفعول به ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة آمنا في محل نصب مقول القول (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الواو حالية ، وقد حرف تحقيق ، وجملة دخلوا في محل نصب حال من الواو في « قالوا » ، وبالكفر جار ومجرور

متعلقان بمحذوف حال من فاعل دخلوا ، والواو الثانية حالية أيضاً ، والجملة في محل نصب حال من الواو في « قالوا » أيضاً ، وبه متعلقان بمحذوف حال من فاعـل خرجوا ، أي : قد دخلوا كافرين وخرجوا كافرين (والله أعلم بما كانوا يكتمون) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وأعلم خبر،وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة كانوا لامحل لها لأنها صلة الموصول،وجملة يكتمون في محل نصب خبر كانوا (وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان) الواو عاطفة أو استئنافية،وترى فعل مضارع، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ، وجملة يسارعون حال من « كثـيراً » ، أو نعت له ، وفي الإثـم متعلقان بيسارعون ، والعدوان عطف على الإثم (وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) وأكلهم عطف على الإثم والعدوان ، والسحت مفعول به للمصدر وهو « أكل » ، واللام جواب قسم محذوف ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وما نكرة تامة في محل نصب على التمييز ، أو موصولة فهي فاعل ، وجملة كانوا لا محل لها على الحالين ، وجملة يعملون في محل نصب خبر كانوا .

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا

بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

الاعراب :

(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت) كلام مستأنف مسوق للتحضيض والتخويف للعلماء والأحبار منهم لصدوفهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها تعميم لتوبيخ العلماء من كل أمة وملة لهذه الخلة الشائنة ، ولذلك قال ابن عباس : هذه أشد آية في القرآن ، يعني في حقّ العلماء لتهاونهم في النهي عن المنكرات . وقال الضحاك : مافي القرآن آية أخوف عندي منها . ولولا أداة للتحضيض بمعنى « هلاّ » ، وينهاهم الربانيون فعل مضارع ومفعول به وفاعل ، والأحبار عطف على قوله : « الربانيون » ، وعن قولهم متعلقان بينهاهم ، والإثم مفعول به لـ « قول » ، وأكلهم معطوف على قولهم ، والسحت مفعول به لأكل (لبئس ما كانوا يصنعون) تقدم إعرابها قريباً ، والعمل لا يقال فيه : صنع ، إلا إذا صار عادة وديدناً (وقالت اليهود : يد الله مغلولة) الواو استئنافية ، وقالت اليهود فعل وفاعل ، ويد الله مبتدأ ، ومغلولة خبر ، والجملة في محل نصب مقول القول (غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا) الجملة دعائية معترضة ، وغلت فعل ماض مبني للمجهول ، وأيديهم نائب فاعل ، ولعنوا عطف على غلت أيديهم (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) بل حرف إضراب وعطف ، ويداه مبتدأ ، ومبسوطتان خبر ، والجملة

عطف على جملة يد الله مغلولة ، وجملة ينفق يجوز أن تكون مستأنفة سيقت تأكيداً لكمال جوده سبحانه ، والمعنى : إنفاقه على ما تقتضيه مشيئته ، فهو القابض الباسط . ولا أعلم كيف أجازوا أن تكون خبراً ثانياً لـ « يداه » تبعاً لأبي حيّان ؟ وكيف هنا شرطية في محل نصب حال (وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) الواو واو القسم المحذوف والقسم المحذوف مجرور بالواو ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره : أقسم ، واللام واقعة في جواب القسم ، ويزيدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ، وما اسم موصول فاعل يزيدن ، والمراد أنهم يزدادون حقداً وتمادياً في الجحود ، وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول ، واليك متعلقان بأنزل ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال ، وطغياناً تمييز أو مفعول به ثان ليزيدن ، وكفراً عطف على « طغياناً » (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامـة) الواو استئنافية وألقينا فعل وفاعل ، وبينهم ظرف متعلق بألقينا ، والعداوة مفعول به ، والبغضاء عطف على العداوة ، والى يوم القيامة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) كلما نصب على الظرفية الزمانية ، والجملة في محل جر بالاضافة ، وناراً مفعول به ، وللحرب جار ومجرور متعلقان بأوقدوا ، وجملة أطفأها الله لا محل لها لأنهـا جواب شرط غـير جازم ، والجملة كلها مستأنفـة أيضاً (ويسعون في الأرض فساداً) الواو استئنافية ، ويسعون فعل مضارع وفاعل ، وفي الأرض متعلقان بيسعون ، وفساداً يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً ، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى مفسدين ، وأن يكون مفعولاً لأجله ، أي : يسعون لأجل الفساد . والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان

(والله لا يحب المفسدين) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة لا يحب خبر ، والمفسدين مفعول به .

البلاغـة :

حفلت هذه الآية بضروب من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ ـ المجاز المرسل في غلّ اليد وبسطها عن البخـل والجود ، وعلاقة هذا المجاز السببية ، لأن اليد هي سبب الإنفاق ، والفائدة من هذا المجاز تصوير الحقيقة بصورة حسية تلازمها غالباً . وجعل بعضهم قوله : « بل يداه مبسوطتان » استعارة ، فالمستعار البسط ، والمستعار منه يـد المنفق ، والمستعار له يـد الحق ، وذلك ليتخيّل السامع أن ثم يدين مبسوطتين بالإنفاق ، ولايدان في الحقيقة ولابسط .

أثر حاسة البصر : وذلك لأن التصوير الحسي يجعلها أرسخ في الذهن ، وأكثر تأثيراً . وحاسة البصر هي في مقدمة الحواسّ المقدرة للجمال ، والتي تدركه وتنقله الى النفس ، وبهذا الصدد يقول « جويو » الناقد العصري المعروف : إن الإحساسات التي يصح نعتها بالجمال على أتمّ وجه هي الإحساسات البصرية . حتى لقد ذهب « ديكارت » الفيلسوف الفرنسي الى أبعـد من ذلك ، فعرّف الجمال بقوله : هو ما يروق في العين . ولما كان الجود والبخل معنويين لا يدركان بالحسّ وتلازمهما صورتان تدركان بالحس ، وهما بسط اليد للجود ، وغلها للبخل ، عبّر عنهما بلازمهما ، لفائدة الإيضاح والانتقال الى المحسوسات من المعنويات .

٢ ـ المشاكلة : بقوله : « غلـت أيديهم » فقـد دعا عليهم بما

افتاتوا به ، وأرجفوا فيه . ومن ثم كان اليهود أبخل خلق الله على الاطلاق ، وأكثرهم جمعاً للمال من أي وجه أتى . وقد كان العرب يتفادون هذا الوصف الذميم ، ويتورعون عنه ، قال الأشتر :

بقّيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجـه عبوس

ومعظم أهل السنة ذهبوا الى أن يد الله صفة من صفات ذاته سبحانه ، كالسمع والبصر والوجه ، فيجب علينا الايمان بها وإثباتها له بلا كيف ولا تشبيه .

٣ ـ التنكيت : بقوله : « بل يداه مبسوطتان » . وكان السياق يقتضي أن يقول : يده مبسوطة ، فإنهم عبروا عنها بالمفرد بقولهم : « يد الله مغلولة » ولكنه عدل عن المطابقة لنكتة تدق على الأفهام البدائية ، وهي نفي الجسمية عنه سبحانه ، لأنهم أرادوا أنه يعطي بيده ، والمرء لا يعطي بكلتا يديه ، فردّ عليهم مبطلاً أن يكون له شيء مما هو جسم معروف ، له يد يمنى ويد يسرى . فلما أثبت أن كلتيهما يد نفى الجسمية ، لأن كلتيهما متساوية في الكرم والعطاء .

٤ ـ الكناية : في إيقاد الحرب عن الحرب واشتعالها .

٥ ـ الطباق : بين الإيقاد والإطفاء .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) ﴾

الاعراب :

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان حالهم في الآخرة . ولو شرطية غير جازمة ، وأن واسمها وخبرها في محل رفع فاعل لفعل محذوف ، وقد تقدم الحديث عن ذلك . وجملة آمنوا خبر « أن » وجملة اتقوا عطف على جملة آمنوا (لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) اللام واقعة في جواب « لو » وكفرنا فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وعنهم متعلقان بكفرنا ، وسيئاتهم مفعول به ، وجملة ولأدخلناهم عطف على جملة لكفرنا . وجنات مفعول به ثان على السعة ، أو منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بأدخلناهم ، والنعيم مضاف اليه .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾

الاعراب :

(ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم) الواو استئنافية ، وأنهم أقاموا التوراة والانجيل : تقدم إعرابها قريباً ، وما عطف على التوراة والانجيل ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وأراد بالموصول غيرهما من الكتب ، ككتاب أشعيا وكتاب دانيال وزبور

داود ، واليهم متعلقـان بأنزل ، ومن ربهم متعلقـان بمحذوف حال (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) اللام واقعـة في جواب لو ، وجملة أكلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ومن فوقهـم متعلقان بأكلوا ، ومن تحت أرجلهم عطف على « من فوقهم » ، وسيأتي سر حذف المفعول في باب البلاغـة (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) الجملة في محـل نصب عـلى الحال ، ومنهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأمة مبتدأ مؤخر ، ومقتصدة صفة ، كثير الواو عاطفة . وكثير مبتدأ ، وساغ الابتداء به لوصفه بالجار والمجرور ، وجملة ساء ما يعملون خبر كثير ، وجملة يعملون صلة « ما » .

البلاغـة :

في هذه الآية حذفان بليغان ، داخلان في نطاق المجاز الذي هو عنصر البلاغة وإكسيرها ، وهما :

١ ــ حذف المضاف في قوله : « أقاموا التوراة والإنجيـل » والمراد أحكام التوراة والإنجيل وحدودهما ، وما انطوى تحتهما من أحكام بالغة ، وعبر شائعة .

٢ ــ حذف المفعول به ، واللطائف فيه تتجدد دائماً . وقوله تعالى : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » بالغ أبعد آماد البلاغة ، فمفعول « أكلوا » محذوف لقصد التعميم أو للقصد الى نفس الفعل ، كما في قولهم : « فلان يحل ويعقد ، ويبرم وينقض ، ويضر وينفع » ، والأصل في ذلك كله على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق . وفي الحذف الذي بصدده ثلاثة أوجه :

آ ــ أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض •

ب ــ وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة •

جـ ــ وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار ، يجنون ما تهدّل من رؤوس الشجر ، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم •

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الرسول) تقدم إعرابها (بلّغ ما أنزل اليك من ربك) كلام مستأنف مسوق للتسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ضاق ذرعه بالدعوة • وبلغ فعل أمر ، وفاعله أنت ، وما مفعول به ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وإليك متعلقان بأنزل ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال (وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته) الواو استئنافية ، وإن شرطية ، ولم تفعل فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، وما نافية ، وجملة بلغت في محل جزم جواب الشرط ، وفي اتحاد الشرط والجواب سرّ بديع ، سوف نبسطه في باب البلاغة ، ورسالته مفعول به (والله يعصمك من الناس) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يعصمك خبره ، ومن الناس متعلقان بيعصمك (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) إن واسمها ، وجملة لا يهدي خبرها ، والقوم مفعول به، والظالمين صفة•

البلاغـة :

في اتحاد الشرط والجواب سرّ منقطع النظير ، وذلك أنه لا بدّ أن يكون الجزاء مغايراً للشرط لتحصل الفائدة . ومتى اتحدا اختل الكلام لأنه يئول ظاهاً الى : وان لم تفعل فما فعلت ، ولكنه أراد هنا أن يتحدا ، لأن عدم تبليغ الرسالة أمرٌ معلوم عند الناس ، مستقرّ في الأفهام أنه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه ، ولأن عدم نشر العلم من العالم أمر يستوجب المذمة ، فما بالك بالرسالة ؟ فجعل الجزاء عن الشرط ليتضح مدى الاهتمام بالتبليغ . وقيل أيضاً في هذا الصدد : أي إن تركت شيئاً فقد تركت الكل ، وصار ما بلغته غير معتدّ به ، فصار المعنى : وإن لم تستوف ما أُمرت بتبليغه فحكمك في العصيان وعدم الامتثال حكم من لم يبلغ شيئاً أصلاً .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

الاعراب :

(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) كلام مستأنف مسوق لنفي تخرّصاتهم بأنهم يتبعون التوراة . وقل فعل أمر ، ويا أهل الكتاب منادى مضاف ، ولستم : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها ، وعلى شيء

جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وسيأتي مزيد عن ليس في باب الفوائد (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم) حتى حرف غاية وجر ، وتقيموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والجار والمجرور متعلقان بـ « لستم » والتوراة مفعول تقيموا ، ولا بد من تقدير مضاف ، أي : أحكامهما وما ينطويان عليه من مثل عليا (وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف ، ويزيدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » وما اسم موصول فاعل يزيدن ، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال ، وطغياناً مفعول به ثان أو تمييز ، وكفراً عطف على طغياناً (فلا تأس على القوم الكافرين) الفاء الفصيحة ، أي : إذا علمت هذا فلا تأس ، ولا ناهية ، وتأس فعل مضارع مجزوم بلا ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وعلى القوم متعلقان بتأس ، والكافرين صفة .

البلاغة :

التنوين في « شيء » يفيد التقليل والتحقير ، أي : لستم على شيء يعتدّ به حتى تقيموا أحكام التوراة والإنجيل .

الفوائد :

(لستم) حذفت عين « ليس » وهي الياء ، لالتقاء الساكنين ، أي : الياء والسين ، إذ أصله : ليِس بكسر الياء ، ثم سكنت الياء

للتخفيف ولم تقلب الفاء على القياس ، لأن التخفيف بالتسكين في الجامد أسهل من القلب ، فلما اتصلت بضمير رفع متحرك سكنت العين ، فالتقى ساكنان : الياء والسين ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) ﴾

اللغة :

(الصابئون) من صبأ ، أي : خرج عن دينه ، وهم قوم كانوا يعبدون الكواكب ، مقرهم في حرّان بين النهرين ، خرج منهم علماء وفلاسفة ومنجمون ، ومنهم الكاتب الشاعر أبو إسحق الصابيء .

الاعراب :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا) كلام مستأنف مسوق لبيان المؤمنين بالله والعاملين عملاً صالحاً . وإن واسمها ، وجملة آمنوا صلة الموصول ، والذين هادوا عطف على الذين آمنوا (والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) الواو استئنافية ، والصابئون رفع على الابتداء ، وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما في « إنّ » من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا ، والصابئون كذلك . هذا ما رجّحه سيبويه في مخالفة الاعراب ، وأنشد شاهداً له :

وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم　　بغاة ما بقينا على شقاق

أي : فاعلموا أنّا بغاة وأنتم كذلك . ويكون العطف من باب عطف الجمل ، فالصابئون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله : إن الذين آمنوا ، ولا محل لها ، كما لا محل للجملة التي عطفت عليها ، وإنما قدّم « الصابئون » تنبيهاً على أن هؤلاء أشد إيغالاً في الضلالة واسترسالاً في الغواية ، لأنهم جردوا من كل عقيدة . وسترد في باب الفوائد أوجه أخرى في هذه المخالفة الإعرابية . والنصارى عطف على الذين ، ومن اسم موصول بدل من الذين ، ولك أن تعرب النصارى مبتدأ خبره : « فلا خوف عليهم » ، والجملة خبر « إن » ، وجملة آمن بالله صلة الموصول ، واليوم الآخر عطف على الله ، وعمل عطف على آمن ، وصالحاً مفعول به أو صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي : عملاً صالحاً (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الجملة خبر إن ، ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط ، وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي ، وعليهم متعلقان بمحذوف خبره ، ولا هم يحزنون : عطف على ما تقدم .

الفوائد :

قدّمنا الوجه المختار الذي ذهب إليه الخليل وسيبويه ونحاة البصرة في إعراب « والصابئون » ، وهناك أوجه أخرى نوردها فيما يلي باقتضاب :

آ — إن الواو عاطفة ، والصابئون معطوف على موضع اسم إن لأنه قبل دخول « إن » كان في موضع رفع ، وهذا مذهب الكسائي والفراء .

ب ــ إنه مرفوع عطفاً على الضمير المرفوع في « هادوا » وروي هذا عن الكسائي •

جـ ــ أن تكون « إن » بمعنى نعم ، أي : حرف جواب ، وما بعده مرفوع بالابتداء ، فيكون « والصابئون » معطوفاً على ما قبله •

ما يقوله ابن هشام :

وتخريج ابن هشام للآية يتلخص بأمرين :

آ ــ إن خبر « إن » محذوف ، أي : مأجورون أو آمنون أو فرحون ، والصابئون مبتدأ وما بعده الخبر ، ويشهد له قوله :

خليليّ هل طبٌّ فإني وأنتما وإن لم تبوحا بالهوى دنفان

ويضعفه أنه حذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وإنما الكثير العكس •

ب ــ الخبر المذكور لـ « إن » ، وخبر « الصابئون » محذوف ، ويشهد له قوله :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيارٌ بها لغريب

إذ لا تدخل اللام في خبر المبتدأ حتى يقدم نحو : القائم لزيد ، ويضعفه تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوف عليها •

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ

رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

الاعراب :

(لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لبيان نماذج أخرى من جناياتهم التي تنادي باستبعاد الإيمان منهم . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأخذنا فعل وفاعل ، وميثاق مفعول به ، وبني إسرائيل مضاف اليه ، (وأرسلنا إليهم رسلاً) الواو حرف عطف ، وأرسلنا فعل وفاعل ، وإليهم متعلقان بأرسلنا ، ورسلاً مفعول به (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه المحذوف ، أي : عصوه ، وجاءهم فعل ومفعول به مقدم ، ورسول فاعل مؤخر ، وبما متعلقان بجاءهم ، وجملة لا تهوى أنفسهم صلة الموصول (فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) فريقاً مفعول مقدم لكذبوا ، وفريقاً الثانية مفعول مقدم ليقتلون ، والجملة مستأنفة نشأت عن جواب سؤال ناشيء عن الجواب الأول ، كأنه قيل : كيف فعلوا بهم ؟ فقيل : فريقاً منهم كذبوهم ولم يتعرضوا لهم بضرر ، وفريقاً آخر منهم قتلوهم (وحسبوا أن لا تكون فتنة) الواو عاطفة ، وحسبوا فعل وفاعل ، وأن حرف مصدري ونصب ، ولا نافية ، فتكون فعل مضارع تام منصوب بأن ، وفتنة فاعل ، وأنْ وما بعدها سدت مسد مفعولي حسبوا . وقرىء برفع « تكونُ »

فتكون « أنْ » مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن تقديره : أنه (فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم) الفاء : عاطفة ، وعموا معطوف على حسبوا ، وصموا عطف على قوله : فعموا ، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وتاب الله فعل وفاعل ، والجملة عطف على قوله : فعموا وصموا ، وعليهم متعلقان بتاب (ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) ثم عموا وصموا عطف على ما تقدم ، كثير بدل من الضمير في عموا أو صموا ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لكثير ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ وبصير خبره ، وبما جار ومجرور متعلقان ببصير ، وجملة يعملون صلة الموصول •

البلاغة :

في الآية نوع من الالتفات البليغ بقوله: «فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون»، وهو التفات من الإخبار بالفعل الماضي الى الإخبار بالفعل المضارع، وهذا من أدقّ الأمور، ولا يتاح في الاستعمال إلا للعارف برموز الفصاحة والبلاغة. وقد طفح القرآن الكريم به ، فقد جاء بالفعل الماضي أولاً فقرر أمراً وقع ثم جاء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الصورة الشنيعة للتعجب منها واستخلاص العبرة من مطاويها • وسيرد منه في القرآن الشيء العجيب ، وعلى هذا ورد قول تأبط شرّاً :

بأنّي قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرّت ... صريعاً لليدين وللجران

فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التي تهيأت له حتى تشجّع على ضرب الغول ، كأنه يجسّدها لهم ليثير إعجابهم بجراءته على ذلك

الهول . والأمثال على ذلك أكثر من أن تحصى . وعلى هذا الأسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوّام في غزوة بدر ، فإنه قال : لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص ، وهو على فرس ، وعليه لأمة كاملة لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يقول : أنا أبو ذات الكؤوس ، وفي يدي عَنَزَة ـ وهي مثل نصف الرمح ـ فأطعن بها في عينه ، فوقع ، وأطأ برجلي على خدّه ، خرجت العنزة متعقّفة . فقوله : « فأطعن بها في عينه ، وأطأ برجلي » معدول به عن لفظة الماضي الى المستقبل ليمثّل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلئم .

لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾

الاعراب :

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) اللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجملة القسم مستأنفة . وكفر الذين فعل وفاعل ، والجملة لا محلّ لها لأنها جواب قسم محذوف ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها صلة الذين ، وجملة إن الله في محل نصب مقول القول ، وإن واسمها ، وهو مبتدأ ، والمسيح خبر هو ، والجملة

الاسمية خبر إن ، وابن بدل من المسيح ، ومريم مضاف إليه (وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) الواو حالية ، وقال المسيح فعل وفاعل ، والجملة في محل نصب على الحال من الواو في « قالوا » ، ويابني إسرائيل منادى مضاف ، وجملة اعبدوا الله في محل نصب مقول قول المسيح ، وربي بدل من الله ، وربكم عطف على ربي (إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة) الجملة مستأنفة ، وإن واسمها ، ومن اسم شرط جازم في محل رفـع مبتدأ ، ويشرك فعل الشرط ، وبالله متعلقان بيشرك ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وجملة فقد حرم في محل جزم جواب الشرط ، وفعـل الشرط وجوابه خبر « من » ، والجملة الشرطية كلها في محل رفـع خبر إنّ ، وحرم الله فعل وفاعل ، وعليه متعلقان بحرّم ، والجنة مفعول به (ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) الواو استئنافية ، ومأواه خبر مقدم ، والنار مبتدأ مؤخر ، ويجوز العكس ، والواو عاطفة ، وما نافية ، وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن حرف جر زائد ، وأنصار مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا

﴿ يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

اللغــة :

(يؤفكون) : يصرفون .

الاعراب :

(لقد كفر الــذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة) الجملة مستأنفة ، واللام جواب قسم محذوف ، وجملة كفر الذين قالوا : لا محل لها لأنها جواب القسم ، وجملة قالوا صلة الموصول ، وإن واسمها ، وثالث ثلاثة خبرها ، والجمـلة المصدّرة بأن في محــل نصب مقول القول (وما من إله إلا إله واحد) الواو حالية ، وما نافية ، ومن حرف جر زائد ، وإله مجرور لفظاً مرفوع على الابتداء محلاً ، والخبر محذوف ، أي موجود ، وإله بدل من الضمير فيه ، وإلا أداة حصر . وقد مرّ هــذا الإعراب مفصلاً في كلمــة الشهادة ، والمعنى : والحال ما إله كائن أو موجود إلا إله واحــد (وإن لم ينتهــوا عما يقولون) الواو استئنافية ، وإن شرطية ، ولــم ينتهوا فعــل الشرط ، وعما متعلقان بينتهوا ، وجملة يقولون صلة الموصول (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ويمسّن فعل مضارع مبني على الفتح ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، والذين مفعول به ، وجملة كفروا صلة الموصول ، ومنهم متعلقان بمحذوف حال،وعذاب أليم فاعل،وجواب الشرط محذوف سد مسده جواب القسم لأن التقدير : ولئن لم ينتهوا ، والقاعدة أنه إذا اجتمع شرط وقسم

فالجواب للسابق ، وإنما لجأنا الى هذا لوجود اللام الموطئة للقسم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) الجملة مستأنفة مسوقة للتعجب من إصرارهم • والهمزة للاستفهام التعجبي الإنكاري ، والفاء عاطفة على مقدر ، أي : ألا ينتهون فلا يتوبون ، والى الله متعلقان بيتوبون ، ويستغفرونه عطف على يتوبون ، والواو حالية ، والله مبتدأ ، وغفور رحيم خبران له ، والجملة في محل نصب على الحال (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) كلام مستأنف مسوق لتحقيق الحق • وما نافية ، ولم تعمل عمل ليس لانتقاض النفي بإلا ، والمسيح مبتدأ وابن مريم بدل أو نعت ، وإلا أداة حصر ، ورسول خبر المبتدأ ، وجملة قد خلت صفة ، ومن قبله متعلقان بخلت ، أي : مضت وفنيت ، والرسل فاعل (وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) الواو عاطفة ، وأمه مبتدأ ، وصديقة خبر ، وجملة كانا مفسرة لا محل لها . وألف الاثنين اسم كان ، وجملة يأكلان خبر كانا ، والطعام مفعول به (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون) الجملة استئنافية ، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ، والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول انظر ، وقد علقت « كيف » « انظر » عن العمل لفظاً فيما بعدها ، ونبين لهم الآيات فعل وفاعل مضمر ومفعول به ، وثم حرف عطف للترتيب والتراخي ، والمعنى أن بيان هذه الآيات كان عجباً وإعراضهم عنها وصدوفهم عن التأمل فيها كان أعجب ، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف ، في محل نصب على الحال ، ويؤفكون فعل مضارع والواو نائب فاعل •

البلاغة :

في قوله : « كانا يأكلان الطعام » كناية عن أنهما ، صلوات الله

عليهما ، بشر ، لأن أكل الطعام يستتبعه الهضم والنفض ، فاكتفى بذكر أكل الطعام عن كل هذا تهذيباً وتصوّناً ، وهذا من غريب الكنايات في اللغة العربية . وقد قدمنا عن الكناية كثيراً ، ولا بد هنا من لفت النظر الى أن الكناية ـ حيث وردت ـ يتعاورها جانبا حقيقة ومجاز ، وجاز حملها عليهما معاً ، كقوله تعالى : « أو لامستم النساء » فإنه يجوز حمل الكناية على الحقيقة والمجاز ، وكلّ منهما يصح به المعنى ، ولا تختل العبارة ، فمن حمل على الحقيقة كالشافعي اعتبر أن اللمس هو مصافحة الجسد للجسد ، فأوجب الوضوء ، وتلك هي الحقيقة في اللمس ، ومن حمل على المجاز كأبي حنيفة اعتبر أن اللمس هو الجماع فذلك هو المجاز . وسيرد معنى المزيد من الكناية وطرائفها في هذا الكتاب .

٢ ـ التكرير في قوله : « انظر » أولاً ، ثم قال : « ثم انظر » ثانياً . وفي ذلك دليل على الاهتمام بالنظر والتدبر ، وإن اختلفت النظرتان ، فالأولى متعلقة بكيفية إيضاح الله لخلقه الآيات ، والثانية متعلقة بانصرافهم عنها ، وصدوفهم عن التأمل في مراميها وأهدافها .

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٧٧) ﴾

اللغـة :

(لا تغلوا) : لا تتجاوزوا الحدّ ، والغلاء هو الارتفاع • قال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته :

أو منعتم ما تسألون فمن حدّ   ثتمـوه لـه علينـا الغـلاء

(الأهواء) : جمع هوى ، وهو ما تدعو اليه شهوة النفس ، قال أبو عبيدة : « لم نجد الهوى يوضع إلا موضع الشرّ ، لأنه لا يقال: فلان يهوى ، إلا أنه يقال : يحب الخير » • والهاء مع الواو إذا كانتا فاء للكلمة وعيناً لها دلتا عـلى معنى السقوط والانحدار الى جانب ، يقال : هوى من الجبل ، وهوت الدلو من البئر هوياً بفتح الهاء ، وطاح في المهواة والهاوية ، وهي مابين الجبلين ، وتهاووا فيها : تساقطوا، وهذه هوة عميقة ، « وأمه هاوية » وجلست عنده هوياً ، أي : ملياً ، ومضى هوي من الليل ، و « استهوته الشياطين » • ومن المجاز قولهم للجبان : إنه الهواء ، أي : خالي القلب من الجرأة ، وقد تشبث شوقي بهذه الطرافة اللغوية فقال :

فاتقوا الله في قلوب العذارى   فالعـذارى قلوبهنّ هواء

ويقال : رجل أهوج : شجاع يرمي نفسه في المهالك والمتالف ، وناقة هوجاء كأن بها هوجاً ، لسرعتها لا تتعهـد موضع المناسم من الأرض ، وريح هوجاء ورياح هوج ، وهاد الرجل وتهوّد وهودّ ابنه جعله يهودياً ، وهوّر البناء فتهوّر أي : تهدّم ، إلى آخر هذه المادة •

وهذا كله من خصائص لغتنا الشريفة •

الاعراب :

(قــل : أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً) كلام مستأنف مسوق لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم وإلزامهم بالحجة . وقل فعل أمر ، والهمزة حرف استفهام توبيخي تعجبي ، وجملة أتعبدون في محل نصب مقول القول ، ومن دون الله متعلقان بمحذوف حال ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، واختار بعضهم أن تكون نكرة موصوفة ، وجملة لا يملك صلة عــلى الأول لا محل لها أو في محل نصب صفة ، ولعل هذا أولى . ولكم متعلقان بيملك ، وضراً مفعول به ليملك ، ولا نفعاً عطف على « ضراً » (والله هو السميع العليم) الواو حالية ، والرابط بين الحال وصاحبها هو الواو ، ومجيء الحال بعد هذا الكلام مناسب لمقتضى الحال ، والله مبتدأ ، وهو ضمير فصل لا محل له ، أو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، والسميع العليم خبران لـ « الله » أو لـ « هو » ، وقد تقدمت نظائره (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) جملة القول استئنافية ، وما بعدها في محل نصب مقول القول ، ولا ناهية ، وتغلوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي دينكم متعلقان بتغلوا ، وغير الحق صفة لمفعول مطلق ، أي : غلواً غير الحق ، ويصح كونه حالاً من ضــمير الفاعل ، وهو الواو ، أي : مجاوزين الحق ، وقيل : إن النصب على الاستثناء المتصل ، وقيل : على المنقطع (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلوا كثيراً) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، تتبعوا فعل مضارع مجزوم بـ « لا » وأهواء مفعول به ، وقوم مضاف اليه ، وجملة قد ضلوا صفة لقوم ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بضلوا ، وبنيت قبل على الضم لانقطاع الظرف عن الإضافة لفظاً لا معنى ، وأضلوا

عطف على قد ضلوا ، وكثيراً مفعول به (وضلوا عن سواء السبيل) عطف على ما تقدم .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

الاعراب :

(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) الكلام مستأنف ، ولعن فعل ماض مبني للمجهول ، والذين نائب فاعل ، وجملة كفـروا صلة الموصول ، ومن بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وعلى لسان متعلقان بلعن ، وفي إفراد اللسان بحث شيق سيأتي في باب الفوائد ، وداود مضاف إليه ، وعيسى عطف على داود ، وابن بدل أو نعت ، ومريم مضاف اليه (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اسم الإشارة مبتدأ ، وبما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر ، أي : بسبب عصيانهم ، والجملة استئنافية ، ويجوز في « ما » أن تكون موصولة ، وعلى كل حال جملة عصوا لا محـل لها من الإعراب ، وجملة كانوا عطف عـلى عصوا ، منتظمة في حكمهـا ، والواو اسم كان ، وجملة يعتدون خبرها (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الجملة لا محل لها لأنها مفسرة للمعصية والاعتداء ، وكان واسمها ، وجملة لا يتناهون خبرها ، وعن منكر متعلقـان بيتناهون ، وجملة فعلوه صفـة لمنكر

(لبئس ما كانوا يفعلون) اللام جواب قسم محـذوف ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وما نكرة تامة في محل نصب تمييز ، أو موصولة فهي في محل رفع فاعل ، أي : الذي فعلوه ، وجملة كانوا صفة لما ، أو لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة يفعلون في محل نصب خبر كانوا •

انطوى توبيخ اليهود على الإخبار بأمرين غاية في القبح والسماجة، أولهما : ما كانوا يجترحونه من المناكر ، والثاني صدوفهم عن التناهي عن هذه المناكر ، وعدم الجنوح اليها في المستقبل ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : « فعلوه » ، فلولا ذكرها لتوهّم متوهم أن النهي عن المنكر عند استحقاق النهي عنه والإشراف على تعاطيه ، فانتظم ذكرها الأمرين معاً بوجه بليغ وأسلوب رفيع ، هو الذروة في البلاغة • وليس المراد بالتناهي أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يجترحه من المنكر ، كما هو المتبادر والمشهور لصيغة التفاعـل ، بل المراد مجرد صدور النهي عن أشخاص متعددة ، من غير اعتبار أن يكون كل واحد ناهياً ومنهياً ، فكان الإخلال بالتناهي بعد الأمر به معصية •

الفوائـد :

القاعدة تقول : إن كل جزأين مفردين من صاحبيهما إذا أضيفا الى كليهما من غير تفريق جاز فيهما ثلاثة أوجه :

١ ــ لفظ الجمع تقول : قطعت رؤوس الكبشين •

٢ ـ لفظ التثنية تقول : قطعت رأسي الكبشين .

٣ ـ لفظ الإفراد تقول : قطعت رأس الكبشين .

وقوله في الآية على لسان داود وعيسى بالإفراد دون التثنية والجمع .

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

الاعراب :

(ترى كثيراً منهم يتولّون الذين كفروا) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة النبي بشأن بني إسرائيل الذين يوالون الكفار من أهل مكة . وترى فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وكثيراً مفعول به ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « كثيراً » ، وجملة يتولون في محل نصب على الحال ، لأن الرؤية هنا بصرية ، والذين مفعول به ، وجملة كفروا صلة الموصول (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم) اللام واقعة في جواب قسم محذوف ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وفاعله مضمر فسرته كلمة « ما » و « ما » نكرة تامة في محل نصب على التمييز ، ويجوز أن تكون « ما » موصولة في محل رفع فاعل ، وجملة الذم لا محل لها لأنها جواب

القسم ، وجملة قدمت صفة على الأول ، وصلة على الثاني . ولهم متعلقان بقدمت ، وأنفسهم فاعل ، وأن سخط : أن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر ، خبره جملة القسم ، كأنه قيل : بئس زادهم في الآخرة سخط الله عليهم . وقال بعضهم : ليس المصدر هو المخصوص بالذم ، لأن نفس السخط المضاف الى البارىء عزّ وجلّ لا يقال فيه هو المخصوص بالذم ، وإنما هو سبب السخط ، وعلى هذا أعربوه خبراً لمبتدأ محذوف (وفي العذاب هم خالدون) الواو عاطفة ، وفي العذاب متعلقان بـ « خالدون » ، وهم مبتدأ ، وخالدون خبر (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وكان واسمها ، وجملة يؤمنون خبرها ، وبالله متعلقان بيؤمنون ، والنبي عطف على الله ، وما أنزل اليه عطف أيضاً (ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وأولياء مفعول اتخذ الثاني ، ولكن واسمها وخبرها .

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

اللغة :

(قسّيسين) : جمع قسّيس ، بكسر القاف وتشديد السين ، المكسورة ، بمعنى القسّ بفتح القاف وتشديد السين ، وهو من كان

بين الأسقف والشمّاس ، وهو أيضاً الكاهن ، ويجمع على قسوس ، والقسّيس يجمع أيضاً على قسّان ، بضم القاف ، وأقسّة وقساوسة ، قال الفرّاء : هو مثل مهالبة ، كثرت السينات فأبدلوا إحداهن واواً . وقال الراغب : قسيسين جمع قسيس ، على فعّيل ، وهو مثال مبالغة كصدّيق ، وهو هنا رئيس النصارى وعالمهم . وأصله من تقسّس الشيء إذا اتبعه وتطلّبه بالليل ، يقال تقسّست أصواتهم أي :تتبّعتها بالليل . وقال غيره : القَس ّ بفتح القاف : تتبّع الشيء ، ومنه سمي عالم النصارى قسيساً لتتبعه العلم ، ويقال : قس ّ الأثر وقصّه بالصاد أيضاً ، ويقال : قَس وقِس بفتح القاف وكسرها وقسيس . فأما قُس ّ بن ساعدة الإيادي بضم القاف فهو علم ، ويجوز أن يكون مما غـيّر عن طريق العلمية ، ويكون أصله قَس أو قِس بفتح القاف وكسرها ، وكان أعلم أهل زمانه .

(رهباناً) يكون واحداً وجمعاً ، فأما إذا كان جمعاً فإن واحدهم يكون راهباً ، ويكون الراهب حينئذ فاعلاً من قول القائل : رهب اللهَ فلان بمعنى خافه يرهبه رَهَباً بفتحتين ورَهْباً بفتح الراء وسكون الهاء ، ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعاً قول كثير عزّة :

رهبان مدين والـذين عهدتهم   يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها   خرّوا لعزّة ركّعاً وسجودا

وقد يكون الرهبان واحداً ، وإذا كان واحداً كان جمعه رهابين ، مثل قربان وقرابين، ويجوز جمعه أيضاً على رهابنة إذا كان كذلك . ومن الدليل على انه قد يكون عند العرب جمعاً قول الراجز :

لو عاينت رهبان دير في القلل   لانحدر الرهبان يمشي ونزل

الاعراب :

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) كلام مستأنف مسوق لتصنيف أهل الكتاب بالنسبة الى مودة المؤمنين ، وتكرير قبائح اليهود ، ولين عريكة النصارى ، وسهولة انصياعهم للحق . واللام جواب لقسم محذوف ، وتجدن فعل مضارع مبني على الفتح والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، وأشد الناس مفعول أول لتجد ، وعداوة تمييز ، وللذين متعلقان بأشد ، واليهود مفعول به ثان ويجوز العكس ، والذين عطف على اليهود وجملة أشركوا صلة. (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى) الواو عاطفة ، والجملة معطوفة على ما تقدم ، وقد تقدم إعرابها ، وجملة إنا نصارى في محل نصب مقول القول (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً) الجملة مستأنفة مبينة ، واسم الاشارة مبتدأ ، والباء حرف جر ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ذلك ، ومنهم متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، وقسيسين اسم أن ، ورهباناً عطف على قسيسين (وأنهم لا يستكبرون) عطف على « بأن منهم » ، وجملة لا يستكبرون خبر أن .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) ﴾

الاعراب :

(وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) الواو استئنافية ، ويجوز أن تكون عاطفة ، فتكون الجملة معطوفة على قوله : « لا يستكبرون »، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة سمعوا في محل جر بإضافة الظرف اليها ، والواو فاعل ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والى الرسول متعلقان بأنزل (ترى أعينهم تفيض من الدمع) الجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وترى فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وأعينهم مفعول ترى البصرية ، وجملة تفيض حالية ، ومن الدمع جار ومجرور في محل نصب على التمييز ، وسيأتي المزيد من بيان هذا الاعراب في باب البلاغة (مما عرفوا من الحق) الجار والمجرور متعلقان بتفيض ، وجملة عرفوا صلة الموصول ، ومن الحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) جملة يقولون في محل نصب حال من الضمير في « عرفوا » وهو الواو ، أو من الضمير المجرور في « أعينهم » ، وجاز مجيء الحال من المضاف اليه لأن المضاف جزؤه ، ويجوز أن تكون مستأنفة مسوقة

جواب سؤال مقدر، كأنه قيل : فما حالهم عند سماع القرآن ؟ وربنا منادى مضاف ، وآمنا فعل وفاعل ، والجملة في محل نصب مقول القول ، فاكتبنا الفاء استئنافية واكتبنا فعل أمر ومفعول به ، والفاعل مستتر ، ومع الشاهدين ظرف متعلق باكتبنا (وما لنا لا تؤمن بالله وما جاءنا من الحق) الواو استئنافية ، وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، ولنا متعلقان بمحذوف خبر ، وجملة لا تؤمن بالله في محل نصب على الحال ، وبالله متعلقان بنؤمن ، وما عطف على الله ، وجملة جاءنا لا محل لها لأنها صلة ، ومن الحق متعلقان بمحذوف حال (ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) الواو عاطفة ونطمع فعل مضارع ، وفاعله نحن ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بنطمع ، وربنا فاعل ، ومع القوم الصالحين الظرف متعلق بيدخلنا ، والجملة كلها معطوفة على جملة نؤمن ، ويجوز أن تكون الواو حالية والجملة نصب على الحال .

البلاغة :

١ ــ المجاز في فيض الأعين ، والعلاقة هي الامتلاء .

٢ ــ المبالغة في التمييز ، وهي من أبلغ التراكيب ، لأن الترقية فيه تترقى ثلاث مراتب ، فالأولى فاض دمع عينه ، والثانية في تحويل الفاعل تمييزاً ، والثالثة في إبراز التمييز في صورة التعليل ، فأفاد الى جانب التمييز التعليل ، وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز ، لأن التمييز في مثله قد استقرّ كونه فاعلاً في الأصل ، في مثل : طاب محمد نفساً ، واشتعل الرأس شيباً ، فإذا قلت : فاضت

عينه دمعاً ، فهم هذا الأصل مع العادة في أمثاله ، وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك .

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

الاعراب :

(فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار) الفاء عاطفة ، وأثابهم فعل ومفعول به مقدم ، والله فاعل ، والجملة معطوفة على جملة قالوا آمنا ، وبما متعلقان بأثابهم ، وجملة قالوا صلة ، ونسق الثواب على قولهم : « آمنا » ، لأن القول إذا اقترن بالعمل المخلص فهو الايمان . وجنات مفعول به ثان لأثابهم ؛ لأنها تضمنت معنى الإعطاء ، وجملة تجري صفة لجنات ، ومن تحتها متعلقان بتجري ، والأنهار فاعل تجري (خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) خالدين حال من الضمير في : « أثابهم » ، وفيها متعلقان بخالدين ، والواو حالية أو استئنافية ، وذلك مبتدأ ، وجزاء المحسنين خبره ، والجملة نصب على الحال أو مستأنفة (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الواو استئنافية ، والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة ، وكذبوا عطف على كفروا ، ونسق التكذيب على الكفر لأن الكذب ضرب منه ، وبآياتنا متعلقان بكذبوا (أولئك أصحاب الجحيم) اسم الاشارة مبتدأ ، وأصحاب الجحيم خبر اسم الإشارة ، والجملة خبر الذين .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) كلام مستأنف مسوق لخطاب بعض المؤمنين الذين اتفقوا على التقشّف والترهب ، ولبس الصوف والصدوف عن اللذائذ المباحة ، ونهيهم عن ذلك . ولا ناهية ، وتحرموا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، وطيبات مفعول به ، وما اسم موصول في محل جر بالاضافة ، وجملة أحل صلة ، والله فاعل ، ولكم متعلقان بأحل (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) الواو حرف عطف ، ولا ناهية ، وتعتدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والجملة عطف على جملة لا تحرموا ، ومعنى الاعتداء هنا تجاوز الحلال الى الحرام، وإن واسمها ، وجملة لا يحب المعتدين خبرها ، وجملة إن الله الخ تعليلية لا محل لها (وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) الواو عاطفة ، وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون ، ومما متعلقان بكلوا ، وجملة رزقكم الله صلة الموصول ، وحلالاً مفعول به ، أو حال من الموصول ، أو من عائده المحذوف ، أو مفعول مطلق ، فهو صفة لمصدر محذوف ، أي : أكلاً حلالاً ، والأول أسهل (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) الواو عاطفة ، واتقوا فعل أمر ، معطوف على كلوا ، والله مفعوله ، والذي صفة لله ، وأنتم مبتدأ ،

وبه متعلقان بـ « مؤمنون » ، والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة الموصول .

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) ﴾

اللغة :

(اللغو) من اليمين : الساقط الذي لا يتعلق به حكم ، وحوله خلاف فقهي فعند الشافعي ما يبدو من المرء من غير قصد ، كقوله : لا والله وبلى والله ، وعند أبي حنيفة أن يحلف على الشيء يرى أنه كذلك ، وليس كما ظن .

(عقدتم الأيمان) قرىء بالتشديد والتخفيف ، كما قرىء أيضاً : « عاقدتم » . وتعقيد الأيمان توثيقها بالقصد والنية . وقد نظم الفرزدق هذا المعنى ، فقد روي أن الحسن سئل عن لغو اليمين ، وكان عنده الفرزدق ، فقال : دعني أجب عنك يا أبا سعيد ، وأنشد :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله ... إذا لم تعمّد عاقدات العزائم

أي : لست مؤاخذاً باللغو الساقط من الكلام • وتعمد أصله : تتعمد ، حذفت منه إحدى التاءين ، وعاقدات العزائم : أي العزائم الجازمات ، ونسبة الجزاء اليها مجاز عقلي •

(فكفارته) الكفّارة : الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة ، أي تسترها •

الاعراب :

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) كلام مستأنف لتقرير حكم اللغو في الأيمان ، ولا نافية ، ويؤاخذكم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل ، وباللغو متعلقان بيؤاخذكم ، وفي أيمانكم متعلقان بمحذوف حال (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) الواو عاطفة ، ولكن مهملة ، وبما الباء حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع عقدتم بمصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم ، والأيمان مفعول به (فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) الفاء الفصيحة ، أي : إذا حنثتم فيما عقدتم الأيمان ، فهي جواب شرط مقدر . وكفارته مبتدأ ، والضمير يعود على الحنث المفهوم من الشرط المقدر كما تقدم ، وارتأى الزمخشري أن يعود على ما الموصولية ، ولا بد من تقدير مضاف ، أي : كفارة حنثه • وهناك أقوال أخرى ضربنا عنها صفحاً لبعدها • وإطعام خبر ، وعشرة مساكين مضاف اليه ، ومن أوسط متعلقان بمحذوف صفة لعشرة مساكين ، وما اسم موصول مضاف إليه ، وجملة تطعمون صلة ، والعائد محذوف ، أي : تطعمونه ، أي : لا هو بالعالي ، ولا الدون وأهليكم مفعول تطعمون • (أو كسوتهم أو تحرير رقبة) عطف على طعام ، وكذلك تحرير رقبة (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط

جازم مبتدأ ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويجد فعل مضارع مجزوم بلم ، وهو فعل الشرط ، والفاء رابطة لجوابه ، وصيام مبتدأ خبره محذوف ، أي : فعليه صيام ، أو كفارته ، وثلاثة أيـام مضاف اليه (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) الجملة تفسيرية ، واسم الاشارة مبتدأ ، وكفارة خبر ، وأيمانكـم مضاف إليه ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحـذوف والـذي دل عليه ما قبله ، وجملة حلفتم في محل جر بالإضافة (واحفظوا أيمانكم كذلك يبـين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) الواو عاطفة ، واحفظوا فعل أمر وفاعل ، وأيمانكم مفعول به ، وكذلك جـار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ، ويبين الله فعل مضارع وفاعل ، ولكم متعلقان بيبين ، وآياته مفعول به ، ولعلكـم لعل واسمها ، وجملة تشكرون خبرها وجملة الرجاء حالية .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

رجس من عمل الشيطان) كلام مستأنف لبيان أن الخمر والميسر لا ينتظمان في الطيبات التي أحلّها الله . وإنما كافة ومكفوفة ، والخمر مبتدأ ، والميسر والأنصاب والأزلام عطف عليها ، ورجس خبر ، ومن عمل الشيطان متعلقان بمحذوف صفة لرجس ، أو هو خبر ثان للخمر (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الفاء الفصيحة ، واجتنبوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ، ولعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) كلام مستأنف لزيادة التوضيح للأسباب المؤدية الى تحريمهما . وإنما كافة ومكفوفة ، ويريد الشيطان فعل مضارع وفاعل ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول ليريد ، وبينكم ظرف متعلق بيوقع أو بمحذوف حال ، والعداوة مفعول به ، والبغضاء عطف على العداوة ، وفي الخمر متعلقان بمحذوف حال ، والميسر معطوف على الخمر . (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) الواو حرف عطف ، ويصدكم عطف على يوقع ، وعن ذكر الله متعلقان بيصدكم ، وعن الصلاة متعلقان أيضاً بيصدكم ، والفاء استئنافية ، وهل حرف استفهام معناه الأمر ، وأنتم مبتدأ ، ومنتهون خبر .

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

الاعراب :

(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) الواو عاطفة ، والكلام معطوف على الاستفهام في الآية المتقدمة ، لأن الاستفهام بمعنى الأمر كما تقدم . والمعنى انتهوا وأطيعوا . ولك أن تجعلها استئنافية ، وأطيعوا الله فعل وفاعل ومفعول به ، وأطيعوا الرسول عطف على أطيعوا الله ، واحذروا عطف أيضاً (فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وتوليتم فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، والجواب محذوف تقديره : فجزاؤكم علينا ، وجملة فاعلموا عطف على الجواب ، وأنما كافة ومكفوفة ، وهي مع مدخولها سدت مسد مفعولي اعلموا ، وعلى رسولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والبلاغ مبتدأ مؤخر ، والمبين صفة (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على تساؤل بعض الصحابة الذين قالوا : يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر ؟ فنزلت : ليس ... وليس فعل ماض ناقص ، وعلى الذين متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم ، وجملة آمنوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة وعملوا الصالحات عطف على الصلة ، وجناح اسم ليس المؤخر ، وفيما متعلقان بمحذوف صفة لجناح، وجملة طعموا لا محل لها لأنها صلة الموصول (إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وما زائدة ، وجملة اتقوا في محل جر بإضافة الظرف إليها ، والعامل في إذا معنى النفي في ليس ، أي : انتفى الإثم عنهم ، وجواب إذا محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فليس عليهم جناح ، وآمنوا عطف

على اتقوا ، وعملوا الصالحات عطف على ما تقدم أيضاً (ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) عطف أيضاً ، وسيأتي سر التكرير البديع في باب البلاغة (والله يحب المحسنين) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يحب خبر ، والمحسنين مفعول به •

البلاغـة :

تقـدم البحث في التكرار أو التكرير ، وهمـا مصدران لكرّر المضعفة ، وقلنا : إن حده أن يكرر الكاتب أو الشاعر الكلمـة أو الكلمتين فصاعداً ، لتأكيد ما يتحدث عنه ، ليزداد رسوخاً في الذهن ، أو لغرض آخر • وفي هذه الآية يحتمل أن يكون التكرار إشارة إلى العلاقات التي يرتبط بهـا الانسان في حياته ، وهي : علاقة الانسان بنفسه ، وعلاقة الانسان بغيره ، وعلاقة الإنسان بربه ، ولذلك عقّب عليها بالإحسان في الكرة الثالثة ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى مراحل العمر الثلاث التي يجتازها الإنسان في رحلته الحياتية ، وهي : مرحلة البدء بالحياة ، ومرحلة الوسط في العمر ، ومرحلة المنتهى • ولعل الاحتمالين مرادان في هذا التكرار البديع ، زيادة في التقوى والتجمّل وإقامة الموازين القسط في جميـع مراحـل حياته وحالاته الثلاث ، وسيأتي من التكرير في هذا الكتاب ما يسحر الألباب ، واستمع الى قول البحتري متغزّلاً :

ويـــوم تثنّت للـــوداع وسلّمت
بعينـــين موصول بلحظهمـا السحر
توهمتهـا ألوى بأجفانهـا الكـرى
كرى النوم أو مالت بأعطافهـا الخمر

فالكرى هو النوم ، ولكن في تكريره هنا معنى يدرك بالبداهة ، أشبه بأخذة السحر .

واستمع الى قول المساور بن هند :

جزى الله عنّي غالبـــاً من عشـــيرة

إذا حدثان الـــــدهر نابت نوائبـــه

فكم دافعوا من كربــة قد تلاحمت

عليّ وموج قـــد علتني غواربــه

فصدر البيت الثاني وعجزه يدلاّن على معنى واحد ، لأن تلاحم الكرب عليه كتعالي الموج من فوقه ، وإنما سوّغ ذلك أنه مقام مدح وإطراء ، ألا ترى أنه يصف إحسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره ، في التكرير ! وفي قبالته لو كان القائل هاجياً فإن الهجاء في هذا كالمدح. ونحب هنا أن نستدرك فنقول ليس كل تكرير حسناً ، فبعضه يكون غثاً كقول أبي الطيب المتنبي من قصيدته البديعة التي يقول في مطلعها :

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لـذا الزمنِ

يخلو من الهـمّ أخلاهم من الفِطَنِ

وهذا من أجمل الشعر وأروعه ، على أنه ما لبث أن قال :

العـــارض الهتــن ابن العـــارض الـ

هتن العارض الهتن ابن العارض الهتن

فهذا ليس من التكرير المستحسن ، لأنه كقولك : الموصوف بكذا ابن الموصوف بكذا وكذا ، أي إنه عريق النسب بهذا الوصف ، فلم يأت بجديد ، ثم اللفظ ليس بمرضي على هذا الوجه الذي قد استعمل فيه ، فإن استعمالها في حالة التركيب يذهب بحسنها . ومن طريف التكرير قول المقنع الكندي :

وإنّ الـذي بيني وبـين بني أبي
وبـين بني عمي لمختلف جـداً

إذا أكلـوا لحمي وفرت لحومهـم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهـم
وإن هم هووا غيّي هويت لهم رشدا

وحسبنا ما تقدم الآن .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾

اللغة :

(ليبلونكم) : ليختبرن طاعتكم .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد) كلام مستأنف مسوق لاختبارهم بالنسبة لما يفهم العباد ، أما حقيقة الاختبار فمحال في حقه تعالى ، وليبلونكم اللام جواب لقسم محذوف ، أي : والله ليبلونكم ، فيبلون فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والله فاعله ، وبشيء متعلقان بيبلونكم ، ومن الصيد متعلقان بمحذوف صفة لشيء وجملة يبلونكم لا محل لها لأنها جواب القسم المحذوف (تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب) الجملة صفة لشيء ، وأيديكم فاعل تناله ، ورماحكم عطف على أيديكم، واللام للتعليل ، ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والله فاعل يعلم ، ومن اسم موصول مفعول يعلم ، وجملة يخافه لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وبالغيب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل يخاف ، أي : يخاف الله حالة كونه غائباً عن الله ، أو من المفعول به، أي يخاف الله حال كونه متلبساً بالغيب (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم ، واعتدى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبعد ذلك الظرف متعلق باعتدى ، واسم الاشارة مضاف اليه ، فله الفاء رابطة للجواب ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعذاب مبتدأ مؤخر ، وأليم صفة ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

في قوله : « بشيء من الصيد » تقليل واحتقار لهذا الابتلاء ،

كأنه يقول : إن هـذا الابتلاء ليس من قبيل الفتن العظام ، والمحن العظام ، التي لا تثبت أمامها القوى ولا الأجسام ، هـذا ما ذكره المفسرون الكبار ، وخاصة الزمخشري الذي نقل معظمهم عبارته بنصها تقريباً ، وهي وثبة ذهنية قوية ، ولكنها تضؤل وتشيل في الميزان عندما نذكر أنه سبحانه استعملها في الفتن العظيمة والمحن الجسيمة ؛ فقال في موضع آخر : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » . وهذا اعتراض يطيح بما قاله الزمخشري وتناقله عنه الكثيرون من المفسرين كالخازن والنسفي والبيضاوي وغيرهم . وخير ما يقال في الاجابة عن هذا الاعتراض هو أن جميع المحن والأرزاء والبلاء والفتن ليست بالنسبة الى مقدور الله تعالى سوى جزء يسير خليق به أن يحقّر ويصغر ، وأنه سبحانه جنح الى خطاب المؤمنين بهذه الصيغة تخفيفاً لهم ، وباعثاً لهم على الصبر ، وحافزاً لهم على الاحتمال تلطفاً بهم ، وترفقاً بما يكابدونه منه فسبحان المتفرد بهذه البلاغة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾

اللغــة :

(حرم) : جمع حرام . والحرام يستوي فيه المذكر والمؤنث : تقول : هذا رجل حرام ، وهذه امرأة حرام ، فإذا قيل : محرم قيل للمرأة : محرمة ، والإحرام هو الدخول فيه ، يقال : أحرم القوم إذا دخلوا في الشهر الحرام أو في الحرم . فتأويل الكلام لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بحج أو عمرة .

(عَدْل) : مثل .

(وبال) الوبال : بفتح الواو : المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه ، قال الراغب : الوابل : المطر الثقيل القطر ، ولمراعاة الثقل قيل للأمر الذي يخاف ضرره : وبال ، قال تعالى: « فذاقوا وبال أمرهم » . ويقال : طعام وبيل ، وكلأ وبيل يخاف وباله، قال تعالى : « فأخذناه أخذاً وبيلاً » . واستوبلتُ الأرضَ : كرهتُها خوفاً من وبالها .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان ما تنطوي عليه كلمة الاعتداء في الآية السابقة . ولا ناهية ، وتقتلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، والواو فاعل ، والصيد مفعول به ، وأنتم الواو حالية ، وأنتم مبتدأ ، وحرم خبره ، والجملة حال من فاعل تقتلوا (ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النَّعم) الواو استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل

رفع مبتدأ خبره جملة الشرط والجواب ، وقتله فعـل ماض وفاعـل مستتر ومفعول به ، وهو في محل جزم فعـل الشرط ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحـذوف حال من فاعـل قتل ، ومتعمـداً حال من فاعل قتل أيضاً ، أي : ذاكراً لإحرامه أو عالماً أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله ، والتفاصيل في كتب الفقه . فجزاء : الفاء رابطة لجواب الشرط ، وجزاء مبتدأ خبره محـذوف ، أي : فعليه جزاء ، ويجوز العكس ، أي : فالواجب عليه جزاء ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، ومثل صفة لجزاء ، وما اسم موصول في محل جر بالاضافة لمثل ، وجملة قتل صلة ، ومن النعم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من مثل (يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة) جملة يحكم صفة ثانية لجزاء ، وبه متعلقان بيحكم ، وذوا فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى ، وعدل مضاف اليه ، ومنكم متعلقان بمحذوف صفة لـ « ذوا » ، وهدياً حال من جزاء ، أو منصوب على المصدرية ، أي يهديه هدياً ، أو منصوب على التمييز ، والأوجه الثلاثة متساوية الرّجحان ، وبالغ الكعبة صفة لـ « هدياً » ، لأن الاضافة غير محضة ، وهي لا تفيد تعريفاً كما سيأتي في باب الفوائد (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً) أو عاطفة ، وكفارة عطف على جزاء ، وطعام مساكين بدل من كفارة ، وأو حرف عطف ، وعدل عطف على كفارة ، وذلك مضاف اليه ، وصياماً تمييز للعدل ، كقولك : لي مثله رجلاً (ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف) اللام للتعليل ، ويذوق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعـد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بالاستقرار المستكن في الخبر ، أي : عليه الجزاء ليذوق ، ويجوز أن يتعلقا بطعام أو صيام ويجوز أن يتعلقا بـ « جزاء » ، أي :

فعليه أن يجازى ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام ، وجملة عفا الله استئنافية أي : لم يؤاخذ بما سلف لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن يحرم ، وعما جار ومجرور متعلقان بعفا وجملة سلف صلة الموصول ، (ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) الواو استئنافية ، ومن أسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، وعاد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطه ، وينتقم الله فعل مضارع وفاعل ، والجملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، أي : فهو ينتقم الله منه ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ومنه متعلقان بينتقم ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وعزيز خبر أول وذو انتقام خبر ثانٍ .

البلاغة :

الذوق في الآية استعارة مكنية تبعية ، شبّه سوء العاقبة الناجمة عن هتك حرمة الإحرام بطعام مستوبل مستوخم يذوقه ، فحذف المشبه وأبقى شيئاً من خصائصه وهو الذوق ، وقد تقدمت نظائرها .

الفوائد :

الإضافة على ثلاثة أنواع :

١ ــ نوع يفيد تعريف المضاف بالمضاف إليه إن كان معرفة ، أو تخصيصه به إن كان نكرة ، مثل كتاب علي ، وكتاب تلميذ .

٢ ــ نوع يفيد تخصيص المضاف دون تعريفه . وضابطه أن يكون المضاف متوغّلاً في الإبهام ، كغير ومثل وشبه ، وتسمى

الإضافة في هذين النوعين محضة أو حقيقية ، ومعنى قولهم : محضة أنها خالصة من تقدير الانفصال .

٣ ــ نوعٌ لا يفيد شيئاً من التعريف أو التخصيص ، وهو أن يكون المضاف صفة تشبه الفعل المضارع في الدلالة على الحال أو الاستقبال ، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ، وتوصف بها النكرة كالآية التي نحن بصددها فإنّ هدياً نكرة منصوبة على الحال ، وبالغ الكعبة صفتها ، فمعنى « بالغ الكعبة » أن يذبح بالحرم ولا توصف النكرة بالمعرفة . ومن خصائصها أيضاً أن تأتي حالاً نحو : « ثاني عطفه » ، فثاني حال كما سيأتي ، والحال واجبة التنكير ، ومنه قول أبي كبير الهذلي :

فأتت به حوش الفؤاد مبطّناً سُهُداً إذا ما نام ليل الهوجل

فحوش صفة مشبهة معناها حديد الفؤاد ، وقد نصبت على الحال لأنها لم تكتسب معرفة ولا تخصيصاً . ومن خصائصها أيضاً دخول « ربّ » عليها ، كقول جرير :

يا ربّ غابطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا

فأدخل « ربّ » على « غابطنا » ، ولو كان معرفة لما صح ذلك ، ولذلك سميت هذه الاضافة لفظية ، لأنها أفادت أمراً لفظياً وهو حذف التنوين ونون التثنية والجمع ، وهي أمور مردها الى اللفظ وحده . وهناك أبحاث أخرى تتعلق بالإضافة يرجع إليها في مظانها من الكتب النحوية .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ

عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾

اللغـة :

(وللسيارة) أي المسافرين . جمع سيار ، وأنث على معنى الرفقة والجماعة .

الاعراب :

(أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة) أحل فعل ماض مبني للمجهول ، ولكم متعلقان بأحلّ ، وصيد البحر نائب فاعل، وطعامه عطف على «صيدُ» ، ومتاعاً مفعول لأجله ، أي : لأجل تمتعكم، ويصح أن يكون مفعولا مطلقاً ، أي : متعكم تمتيعاً . ولكم متعلقان بـ « متاعاً » ، وللسيارة عطف على « لكم » ، والجملة مستأنفة ، (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً) الواو عاطفة، وحرم فعل ماض مبني للمجهول ، وعليكم متعلقان بحرّم ، والجملة عطف على الجملة السابقة ، وصيد البر نائب فاعل ، ما دمتم فعل ماض ناقص و « ما » وما بعدها في محل نصب على الظرفية ، والظرف متعلق بحرم ، والتاء اسم ما دام ، وحرماً خبرها (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) الواو عاطفة ، واتقوا الله فعل أمر ومفعول به ، والذي نعت ، واليه متعلقان بتحشرون ، وتحشرون فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، وجملة تحشرون صلة الموصول .

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ

وَالْهَدْيَ وَالْقَلَٰئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾

الاعراب :

(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد) كلام مستأنف مسوق لتوضيح الكعبة التي هي البيت الحرام . و « جعل » : لك أن تعتبرها بمعنى « صيَّر » ، وأن تعتبرها بمعنى « خلق » . وجعل الله فعل وفاعل ، والكعبه مفعول به ، والبيت الحرام بدل من الكعبة ، والفائدة من البدلية المديح ، وقياماً على الأول مفعول به ثان ، وعلى الثاني حال من الكعبة ، وهو من ذوات الواو ، وقيل : قياماً لكسرة القاف ، وإنما هي في الأصل قواماً وصواماً . وللناس متعلقان بـ « قياماً » أي : يقومون بقصدها بأمر معايشهم ومنافعهم . والشهر عطف على الكعبة ، والحرام صفة ، والهدي والقلائد عطف على الكعبة أيضاً . (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) الجملة مستأنفة ، واسم الاشارة مبتدأ . والاشارة الى مجموع ما تقدم ذكره ، ولتعلموا اللام لام التعليل ، وتعلموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ذلك أي : ذلك الحكم هو الحق لا غيره ، وقيل : ذلك في موضع خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الحكم الذي قررناه ذلك . ويجوز أن يكون اسم الاشارة منصوباً بفعل مقدّر ،

ولتعلموا متعلقان به ، أي : شرعنا ذلك . والأوجه كلها متساوية الرجحان . وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تعلموا ، وأن واسمها ، وجملة يعلم خبرها ، وما اسم موصول مفعول به ؛ وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، ومافي الأرض عطف على « ما في السموات » (وأن الله بكل شيء عليم) عطف على « أن » الأولى ، وأن واسمها ، وبكل شيء متعلقان بـ « عليم » ، وعليم خبر أن (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم) عطف على ما تقدم ، وغفور رحيم خبران لأن .

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

اللغة :

(الخبيث) ضد الطيب ، والجمع خُبُث بضمتين ، وخبثاء وأخباث وخَبَثة بفتحتين . وخبثت نفسه : ثقلت وغثّت . وللخاء والباء فاء وعيناً للفعل خاصة عجيبة ، وهي أنهما تدلان على التأثير والسرعة في الاخفاء ، يقال : خبّ أي خدع وأفسد ، ولا يخفى ما فيه من معنى التأثير في المخدوع وإفساده ، والخبب ضرب من العدو والسير ، وخبأ الشيء ستره وأخفاه ، وخبر الشيء يخبر وخبراً ، بضم الخاء ، وخبراً بكسرها : علمه عن تجربة ، وخبز الخبز عمله ، وخبس

خلاناً حقه أي ظلمه وغشمه ، وخبش الأشياء تناولها من هاهنا وهاهنا ، وخبص الشيء بالشيء خلطه ، وخبّص بالتشديد عمل الخبيصة أو الخبيص ، أي : الحلواء المخبوصة ، وخبطه خبطاً أي : ضربه ضرباً شديداً ، وخبله وخبّله بالتشديد : أفسده ، وخبن الثوب عطفه وخاطه ، وخبن الشاعر أتى بالخبن في شعره ، وهو حذف الثاني الساكن . وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة وخصائصها التي تنفرد بها .

الاعراب :

(ما على الرسول إلا البلاغ) الكلام مستأنف مسوق للتشديد على إيجاب القيام بما أمر به ، أي : لقد قامت عليكم الحجة ، ولزمتكم الطاعة ، فلا عذر لكم إذا تجاوزتم الحدود . وقد جرى هذا الكلام مجرى المثل ، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في باب البلاغة . وما نافية ، وعلى الرسول جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وإلا أداة حصر ، والبلاغ مبتدأ مؤخر (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وجملة يعلم خبر ، وما اسم موصول مفعول تعلمون ، وجملة تبدون صلة الموصول ، وما تكتمون عطف على قوله ما تبدون (قل لا يستوي الخبيث والطيب) الجملة مستأنفة ، وقل فعل أمر، وجملة لا يستوي الخبيث والطيب في محل نصب مقول القول، وهذه الجملة مما سارت مسير الأمثال أيضاً (ولو أعجبك كثرة الخبيث) الواو حالية ، ولو شرطية ، وأعجبك فعل ماض ومفعول به ، وكثرة الخبيث فاعل أعجبك ، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل لا يستوي ، أي : لا يستويان حالة كونهما على كل حال ، وجواب لو محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فلا يستويان (فاتقوا الله يا أولي

الألباب لعلكم تفلحون) الفاء الفصيحة ، أي : إذا تبين لكم هذا فاتقوا الله ، واتقوا الله فعل وفاعل ومفعول به ، ويا حرف نداء ، وأولي الألباب منادى مضاف ، ولعلكم : لعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها .

البلاغة :

في الآية إرسال المثل ، وهو عبارة عن أن يأتي المتكلم في بعض كلامه بما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نعت أو غير ذلك ، ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

لأن حلمك حلم لا تكلفه ليس التكحل في العينين كالكحل

وقد اشتهر أبو الطيب بهذه الميزة حتى صارت مضرب المثل ، قال :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وسيأتي من أمثاله ما يذهل العقول ، وحسبنا الآن أن نورد مختارات من قصيدة ابن زيدون :

ما على ظني باس يجرح الدهر وياسو
ولقد ينجيك إغفا ل ويرديك احتراس
ولكم أجدى قعود ولكم أكدى التماس
وكذا الحكم إذا ما عزّ ناس ذلّ ناس
لا يكن عهدك ورداً إن عهدي لك آس

فـأدر ذكـري كـأسا ما امتطت كفك كـاس
واغتنم صفو الليـالي إنمـا العيش اختلاس

٢ ــ الطباق بين « تبدون » و « تكتمون » .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ (١٠٢) ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) كلام مستأنف مسوق للنهي عن كثرة السؤال عن أمور لا تعنيهم ، لأن التكليف بها مما يشق على النفوس . وفي ذلك من السموّ ما هو حريّ بالاتعاظ والتأدّب . ولا ناهية ، وتسألوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، وعن أشياء جار ومجرور متعلقان بتسألوا ، وأشياء ممنوعة من الصرف ، وسيأتي الحديث عنها مسهباً في باب الفوائد ، وإن شرطية ، وتبد فعل الشرط ، وهو مبني للمجهول ، ونائب الفاعل يعود على أشياء ، ولكم متعلقان بـ « تبد » ، وتسؤكم جواب الشرط ، والكاف مفعول به ، وجملة الشرط صفة لـ « أشياء » (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبد لكم) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وتسألوا

فعل الشرط ، وحين ظرف زمان متعلق بتسألوا ، وجملة ينزل القرآن في محل جر بالإضافة ، وتبد جواب الشرط ، ولكم متعلقان بـ « تبد ».
(عفا الله عنها والله غفور حليم) جملة عفا الله عنها مستأنفة ، مسوقة لبيان أن النهي عنها إنما جرى لاستقصائها وتعذر القيام بها على الوجه الأكمل ، وقد عفا الله عنها . ويجوز أن تكون الجملة صفة ثانية لـ « أشياء » ، والواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وغفور خبر أول ، وحليم خبر ثان . (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) .

الجملة إما مستأنفة وهو الأولى ، وذلك أن تجعلها نعتاً ثانياً لـ « أشياء » ، وسألها فعل ماض ومفعول به مقدم ، والضمير يعود على « أشياء » ، ولا بد من تقدير مضاف ، أي : سأل مثلها ، باعتبارها مماثلة لها في المغبّة وجرّ الوبال . وقد أطالوا الكلام في عودة الضمير من غير فائدة . وقوم فاعل ، ومن قبلكم متعلقان بمحذوف صفة قوم ، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وأصبحوا فعل ماض ناقص ، والواو اسمها ، وبها جار ومجرور متعلقان بـ « كافرين » وكافرين خبر أصبحوا .

الفوائد :

١ ـ روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال : يا رسول الله ، الحج علينا كل عام ؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أعاد مسألته ثلاث مرات . فقال صلى الله عليه وسلم : « ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم ! والله لو قلت نعم لوجبت ، ولو

وجبت ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » .

٢ ـ أشياء : ممنوعة من الصرف ، وقد خاض علماء اللغة والنحو في سبب منعها ، ويتلخص مما أوردوه في المذاهب الآتية :

١ ـ مذهب سيبويه والخليل وجمهور البصريين :

أنها منعت من الصرف لألف التأنيث الممدودة ، وهي اسم جمع لـ « شيء » والأصل « شيئاء » بوزن فعلاء ، فقدمت اللام على الألف كراهية اجتماع همزتين بينهما ألف .

٢ ـ مذهب الفرّاء :

وهو أن أشياء جمع لـ « شيء» وإن أصلها « أشيئاء » ، فلما اجتمع همزتان بينهما ألف حذفوا الهمزة الأولى تخفيفاً .

٣ ـ مذهب الكسائي :

فقد ذهب الى أن وزن أشياء : أفعال ، وإنما منعوا صرفه تشبيهاً له بما في آخره ألف التأنيث .

وهناك مذاهب أخرى أضربنا عنها لأنهـا لا تخرج عن هـذه الفحوى .

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

اللغـة :

(بحيرة) : بفتح الباء وكسر الحـاء ، فعيلة بمعنى مفعولـة ، ولحقتها التاء على غير قياس ، لأنها جردت من الوصفية وأصبحت بمعنى الجوامد . وقد اختلف أهل اللغة فيها اختلافاً كثيراً ، وأقوى الأقوال فيها أن أهل الجاهلية كانوا إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن ، آخرها ذكر ، شقّوا أذنها وحرموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقيها المعيي لم يركبها ، وهي تختلف باختلاف عادات العرب .

(سائبة) : كان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم : إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة . وقيل : كان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة . فهي اسم فاعل من ساب يسيب أي : سرح ، كسيّبَ الماء فهو مطاوع سيّبته ، يقال : سيّبه فساب وانساب .

(وصيلة) وقد اختلفوا في معناها اختـلافاً شديداً لا يتسع له المقام ، وأقرب ما قيل فيها أن الجاهلية كانوا إذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ، فهي فعيلة بمعنى فاعلة ، فتاؤها على القياس .

(حامٍ) : اسم فاعل من حمى يحمي إذا منع ، والخلاف شديد حولها فقد كانوا يقولون : إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قد حمى ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ولا يمنـع من ماء ، ولا مرعى . وكلها عادات لم يأمر الله بشيء منها ، وما شرعها .

الاعراب :

(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كلام مستأنف مسوق لشجب عادات وأعمال من عاداتهم وأعمالهم مبتدعة ، لم يأمر الله بها ولم يشرعها . وما نافية ، وجعل بمعنى خلق ؛ فهي تتعدى لواحد ، أو بمعنى صيّر فتتعدى لاثنين ، ويكون الثاني محذوفاً ، أي : صيرها مشروعة . والله فاعل ، ومن حرف جر زائد ، وبحيرة مجروراً لفظاً مفعول به منصوب محلاً ، وما بعده عطف عليه (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) الواو عاطفة أو حالية ، ولكن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها . وجملة يفترون خبر لكن ، وعلى الله متعلقان بيفترون ، والكذب مفعول به . والواو عاطفة أو حالية ، وأكثرهم مبتدأ ، وجملة لا يعقلون خبر أكثرهم .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) الواو استئنافية أو عاطفة ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب الآتي، وجملة تعالوا في محل نصب مقول القول ، والى ما أنزل الله الجار والمجرور متعلقان بتعالوا ، وأنزل الله فعل وفاعل ، والجملة صلة ، والى الرسول عطف عليه (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) جملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ؛ وحسبنا مبتدأ ، وما اسم موصول في محل رفع خبر ، وجملة وجدنا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وعليه متعلقان بوجدنا ، وآباءنا مفعول به (أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي ، والواو عاطفة على مقدر ، تقديره : أحسبهم ذلك ؟ أو حالية، أي : ولو كان آباؤهم جهلة ضالين . ولو شرطية وجوابها محذوف تقديره : يقولون ذلك . وكان واسمها ، وجملة لا يعلمون خبرها ، وشيئاً مفعول به ، وجملة لا يهتدون عطف على جملة لا يعلمون (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن كل إنسان مسئول عن نفسه ، ولا يرد على هذا أن فيه مندوحة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن ذلك مرهون بالطاقة . قال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » . وعليكم اسم فعل أمر منقول بمعنى الزموا ، وأنفسكم مفعول به لاسم الفعل (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) الجملة مستأنفة ، ولا نافية ، يضركم فعل مضارع ، والكاف مفعول به ، ومن اسم موصول في محل رفع فاعل يضركم . وجملة ضل صلة الموصول ، وإذا ظرف مستقبل متضمن

معنى الشرط متعلق بالجواب المقدر ، أي : فلا يضركم ، وجملة اهتديتم في محل جر بالاضافة (إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون) الجملة مستأنفة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، وجميعاً حال ، فينبئكم الفاء عاطفة ، وينبئكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وبما متعلقان بينبئكم ، وجملة كنتم صلة الموصول ، والتاء اسم كان ، وجملة تعملون خبرها .

الفوائد :

اختلف النحاة في الضمير المتصل بـ « عليكم » و « إليكم » و « لديكم » و « مكانكم » ، والصحيح أنه في موضع جر ، كما كان قبل أن تنقل الكلمة الى الإغراء ، فإما أن يكون مجروراً بالحرف نحو : « عليكم » بحسب ما كان ، أو بالإضافة نحو : « لديكم » . وقيل : إن الكاف حرف خطاب ، وهذا القول عندي أسهل ، وقد أيده ابن بابشاذ ، ونورد هنا تلخيصاً هاماً لأسماء الأفعال ، فهي ضربان :

١ ــ مرتجل : وهو ما وضع من أول الأمر كذلك ، أي : اسماً للفعل ، كشتان وأفٍّ وصهْ .

٢ ــ منقول : وهو ما وضع من أول الأمر لغير اسم الفعل ، ثم نقل من غيره إليه ، وهو ثلاثة أنواع :

آ ــ من جار ومجرور نحو : عليك بمعنى الزم .

ب ــ من ظرف المكان نحو : دونك الكتاب ، أي : خذه ، ومكانك ، أي : اثبت ، وأمامك ، أي : تقدم ، ووراءك ، أي : تنح .

جـ ـ منقول من مصدر نحو : رويد خالداً ، أي : أمهله ، وبله هذا الأمر ، أي : دعه .

قال يصف السيوف :

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

واستعمله أبو الطيب المتنبي فقال :

أقل فعالي بَلْهَ أكثره مجد

وذا الجِد فيه نلت أم لم أنل جَدُّ

ولأسماء الأفعال تفاصيل أخرى يرجع إليها في مظانها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ

ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

اللغـة :

﴿ ضربتم في الأرض ﴾ أي : سافرتم .

(الأوليان) : مثنى الأَوْلى ، أي : الأحق بالشهـادة لقرابتهما ومعرفتهما .

الاعراب :

﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام تتعلق بأمور الدنيا بعد بيان الأحوال المتعلقة بأمور الآخرة . وشهادة مبتدأ ، وبينكم مضاف اليه ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف ، أي : فشهادة اثنين ، وجملة حضر أحدكم الموت في محل جر بالاضافة ، وحين الوصية ظرف متعلق بحضر ، واثنان خبر شهادة ، ولا بد من تقدير مضاف محذوف ، وذلك ليتطابق المبتـدأ

والخبر ، وذلك لأن الشهادة لا تكون هي الاثنان ، إذ الجثة لا تكون خبراً عن المصدر . وجوّز الزمخشري أن تكون شهادة مبتدأ ، والخبر محذوف ، أي : فيما فرض عليكم شهادة ، واثنان فاعل بشهادة ، أي : أن يشهد اثنان . وهذا ما جرى عليه ابن هشام أيضاً . وذوا عدل صفة لـ « اثنان » ، ومنكم صفة أيضاً (أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض) أو حرف عطف ، وآخران عطف على « اثنان » ، ومن غيركم متعلقان بمحذوف صفة لـ « آخران » أي : من غير ملتكم ، وإن شرطية ، وأنتم فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فالشاهدان آخران ، وجملة ضربتم مفسرة لا محل لها ، وفي الأرض متعلقان بضربتم ، وجملة الشرط معترضة لا محل لها (فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة) الفاء عاطفة للترتيب مع التعقيب ، وأصابتكم عطف على ضربتم، ومصيبة الموت فاعل أصابتكم ، وتحبسونهما فعل مضارع ومفعول به ، وقد اختلفوا في موضع هذه الجملة ، والأظهر أنها صفة لـ « آخران » . وقال الزمخشري : « فإن قلت : ما موضع تحبسونهما ؟ قلت : هو استئناف كلام : كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما : فكيف نعمل إن ارتبنا بهما ؟ فقيل : تحبسونهما » . وعقب أبو حيّان على ذلك فقال : وما قاله الزمخشري من الاستئناف أظهر من الوصف لطول الفصل بالشرط والمعطوف عليه بين الموصوف وصفته ، ولا موجب لهذا الزعم . ومن بعد الصلاة متعلقان بتحبسونهما (فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى) الفاء عاطفة ، ويقسمان عطف على تحبسونهما ، وبالله متعلقان بيقسمان ، وإن شرطية ، وارتبتم فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط ، والجواب محذوف دل عليه ما قبله ، وتقديره : إن ارتبتم فيهما فحلفوهما . وفعل الشرط وجوابه المقدر

جملة لا محل لها لأنها معترضة بين القسم وجوابه ، وليست هذه الآية مما اجتمع فيه شرط وقسم فأجيب بالمتقدم منهما ، وحذف جواب الآخر لدلالة جواب الشرط عليه ، لأن تلك المسألة مشروطة بأن يكون القسم صالحاً لأن يكون جواباً للشرط ، حتى يسدّ مسد جوابه ، نحو : والله إن تزرني لأكرمنّك ، لأنك إن قدّرت : « إن تزرني أكرمك » صح ، وهنا لا يقدر جواب الشرط ما هو جواب للقسم ، بل يقدر جوابه قسماً برأسه . ألا ترى أن تقديره هنا : « إن ارتبتم فحلفوهما » ، ولو قدرته غير ذلك لم يصحّ ! وقال آخرون : إن ثمّ قولاً محذوفاً تقديره : فيقسمان بالله ويقولان هذا القول في أيمانهما . والعرب تضمر كثيراً القول ، كقوله تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام » ، أي : يقولون : « سلام عليكم » ، ولا نافية ، ونشتري فعل مضارع مرفوع ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وبه متعلقان بنشتري ، وثمناً مفعول به ، والواو حالية ، ولو شرطية ، وكان فعل ماض ناقص ، واسمها مستتر ، أي : المقسم له ، وذا قربى خبر كان ، وجواب « لو » محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فلا نشتري به ، وجملة لو الشرطية وما في حيزها في محل نصب حال (ولا نكتم شهادة الله إنا إذن لمن الآثمين) الواو عاطفة ، وجملة لا نكتم عطف على منتظم معه في حكم القسم ، وشهادة الله مفعول به ، وإن واسمها ، وإذن حرف جواب وجزاء مهملة ، واللام المزحلقة ، ومن الآثمين متعلقان بمحذوف خبر إن، وجملة إن وما في حيزها لا محل لها بمثابة التعليل لعدم الكتمان (فإن عثر على أنهما استحقا إثماً) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وعثر فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ، وعلى أنهما جار ومجرور نائب فاعل ، أي : فإن اطلع

على استحقاقهما الإثم ، وأن واسمها ، وجملة استحقا في محل رفع خبر أن ، والألف فاعل استحقا ، وإثماً مفعول استحقا (فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وآخران مبتدأ ، ساغ الابتداء به لأنه وصف ، أو هو خبر لمبتدأ محذوف ، وجملة يقومان في محل رفع خبر على الأول أو صفة على الثاني ، ومقامهما مفعول مطلق ، ومن الذين صفة لـ « آخران » وجملة استحق لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وعليهم متعلقان باستحق ، والأوليان خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هما الأوليان ، أو فاعل استحق ، وجملة فآخران في محل جزم جواب الشرط (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) الفاء عاطفة ، ويقسمان فعل مضارع مرفوع عطفاً على يقومان ، والألف فاعل ، وبالله متعلقان بيقسمان ، واللام واقعة في جواب القسم ، وشهادتنا مبتدأ ، وأحق خبر ، ومن شهادتهما متعلقان بأحق ، وجملة شهادتنا لا محل لها لأنها واقعة في جواب القسم (وما اعتدينا إنا إذن لمن الظالمين) الواو استئنافية ، وما نافية ، واعتدينا فعل ماض وفاعل ، وان واسمها ، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل ، ومن الظالمين خبر إن ، والجملة تعليلية لا محل لها (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) اسم الإشارة مبتدأ ، وأدنى خبر ، والجملة مستأنفة ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لأدنى ، وبالشهادة متعلقان بيأتوا ، وعلى وجهها متعلقان بمحذوف حال (أو يخافوا أن ترد أيمان" بعد أيمانهم) أو حرف عطف ، ويخافوا عطف على يأتوا ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول ليخافوا ، وأيمان نائب فاعل ترد ، والظرف بعد متعلق بـ « ترد » ، وأيمانهم مضاف إليه (واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين) الواو

استئنافية ، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ، واسمعوا عطف على اتقوا ، والواو استئنافية والله مبتدأ ، وجملة لايهدي خبر . والقوم مفعول به ، والفاسقين صفة للقوم .

الفوائـد :

هـذه الآيات الثلاث شغلت المفسرين والمعربين كثيراً فأطالوا الحديث ، وليس ثمة ما يستدعي الإطالة ، فقد ذكر مكي بن أبي طالب في كتابه المسمى بـ « الكشف » أن هذه الآيات في قراءاتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب آي القرآن . وقال السخاوي : لم أر أحداً من العلماء تخلص كلامه فيها من أولها إلى آخرها . وقال السمين الحلبي : وأنا أستعين الله في توجيه إعرابها واشتقاق مفرداتها وتصريف كلماتها وقراءاتها ومعرفة تأليفها ، وأما بقية علومها فنسأل الله العون في تهذيبه . وقد حاولنا نحن الاختصار جهد الطاقة ، واكتفينا بقراءة حفص ، أما بقية أحكامها فلا بد من النظر في كتب الحديث وكتب التفسير المطوّلة .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

اللغــة :

(الأكمه) : الأعمى المطموس البصر .

الاعراب :

(يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجبتم) كلام مستأنف مسوق لبيان ما جرى بينه وبين الرسل جميعاً . ويوم ظرف زمان متعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، وجملة يجمع في محل جر بالاضافة ، والله فاعل ، والرسل مفعول به ، والفاء حرف عطف ، ويقول فعل مضارع معطوف على يجمع ، ماذا اسم استفهام في محل نصب مفعول مطلق ، أي : أيّ إجابة أجبتم ، ولك أن تعرب « ما » اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، و « ذا » اسم موصول خبر « ما » ، وجملة أجبتم لا محل لها على كل حال ، وقد تقدمت نظائره ، وجملة ماذا أجبتم مقول القول . (قالوا : لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) قالوا فعل وفاعل ، والجملة

مستأنفة ، ولا نافية للجنس ، وعلم اسمها المبني على الفتح ، ولنا متعلقان بمحذوف خبرها ، وجملة لا علم لنا في محل نصب مقول القول، وإن واسمها ، وأنت مبتدأ وعلام الغيوب خبر أنت ، والجملة في محل رفع خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها (إذ قال الله يا عيسى بن مريم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بما تعلق به يوم لأنه بدل منه ، وجملة قال في محل جر بالإضافة ، ويا حرف نداء وعيسى منادى مفرد علم مبني على الضم المقدر على الألف في محل نصب ، وابن بدل أو نعت لعيسى ، ومريم مضاف إليه (اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) الجملة كلها في محل نصب مقول القول ، واذكر فعل أمر ، ونعمتي مفعول به ، وعليك متعلقان بنعمتي ، وعلى والدتك عطف على « عليك » (إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً) الظرف بدل من نعمتي بدل اشتمال ، ويجوز أن يتعلق بنعمتي أيضاً ، وجملة أيدتك في محل جر بالإضافة ، وبروح القدس متعلقان بأيدتك ، وجملة تكلم الناس في محل نصب حال من الكاف في أيدتك ، وفي المهد متعلقان بمحذوف حال ، أي : حالة كونك طفلاً ، وكهلاً عطف عليه ؛ فهو حال أيضاً ، والمعنى : إلحاق حالة الطفولة بحالة الكهولة ، في كمال العقل، وتمام الرّوّية (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) الواو حرف عطف ، والظرف معطوف على إذ أيدتك ، وجملة علمتك في محل جر بالإضافة ، وهي فعل وفاعل ومفعول به أول، والكتاب مفعول به ثان،أي: الكتابة، ومابعده عطف عليه (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني) الظرف معطوف على ما سبقه ، وجملة تخلق في محل جر بالإضافة ، ومن الطين متعلقان بتخلق ، وكهيئة الكاف اسم بمعنى مثل في محل نصب مفعول به لتخلق ، وهيئة مضاف إليه وهو مضاف ، والطير مضاف إليه ، وبإذني متعلقان بمحذوف حال (فتنفخ

فيها فتكون طيراً بإذني) الفاء حرف عطف ، وتنفخ عطف على تخلق ، وفيها متعلقان بتنفخ ، فتكون عطف على فتنفخ ، وطيراً خبر تكون ، وبإذني متعلقان بمحذوف حال (وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني) عطف على ما تقدم (وإذ تخرج الموتى بإذني) عطف أيضاً (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) عطف أيضاً ، وبني إسرائيل مفعول كففت ، وعنك متعلقان بـ « كففت » (إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) الظرف متعلق بكففت لا باعتبار المجيء بالبينات فقط بل باعتبار ما يعقب ذلك ويترتب عليه حين همّهم بقتله ، وجملة جئتهم في محل جر بالإضافة ، وبالبينات متعلقان بجئتهم ، فقال : الفاء عاطفة ، وقال فعل ماض معطوف على جئتهم ، والذين فاعل وجملة كفروا صلة ، ومنهم متعلقان بكفروا ، وإن نافية ، وهذا اسم إشارة في محل رفع مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وسحر خبر هذا ، ومبين صفة ، والجملة في محل نصب مقول القول •

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

اللغــة :

(مائدة) المائدة : الخوان إذا كان عليه الطعام ، فإن لم يكن عليه طعام فليس بمائدة ، وهذا هو المشهور كما نصّ عليه الثعالبي ، غير أن الراغب قال : المائدة الطبق الذي عليه الطعام . وتقال أيضاً المطعام نفسه . إلا أن هذا مخالف لما هو مشهور متعالم عند علماء اللغة . وهذه المسألة لها نظائر في اللغة : لا يقال للخوان مائدة إلا إذا كان عليه طعام وإلا فهو خوان ، بتثليث الخاء . ولا يقال : كأس إلا وفيها خمر ، وإلا فهي قدح . ولا يقال ذَنوب وسجل إلا وفيه ماء ، وإلا فهو دلو ، ولا يقال : جراب إلا وهو مدبوغ ، وإلا فهو إهاب . ولا يقال : قلم إلا وهو مبريّ ، وإلا فهو أنبوب . ولا يقال : كوز إلا إذا كانت له عروة ، وإلا فهو كوب. ولايقال: فرو إلا إذا كان عليه صوف. وإلا فهو جلد. ولايقال: ريطة إلا إذا كانت ذات لفقين وإلا فهي ملاءة. ولايقال : رمح إلا إذا كان عليه سنان ، وإلا فهو قناة . ولا يقال : لطيمة إلا إذا كان عليها طيب ، وإلا فهي عير . ولا يقال : خاتم إلا إذا كان فيه فصّ ، وإلا فهو فتخة . هذا ما ذكره الثعالبي نقلا عن أبي عبيدة . ونقل عن غير أبي عبيدة من أئمة اللغة : أنه لا يقال : نَفَق إلا إذا كان له منفذ ، وإلا فهو سرب . ولا يقال : عهن إلا إذا كان مصبوغاً ، وإلا فهو صوف . ولا يقال خدر إلا إذا كان مشتملا على جارية ، وإلا فهو ستر . ولا يقال : ركيّة إلا إذا كان فيها ماء قلّ أو كثر ، وإلا فهي بئر . ولا يقال : وقود إلا إذا تقدمت فيه النار ، وإلا فهو حطب . ولا يقال : سياع إلا إذا كان فيه تبن ، وإلا فهو طين . ولا يقال : عويل إلا إذا كان فيه رفع صوت ، وإلا فهو بكاء . ولا يقال : ثرى إلا إذا

كان ندياً ؛ وإلا فهو تراب • ولا يقال للعبد : آبق إلا إذا كان ذهابه من غير خوف ولا كدّ عمل ، وإلا فهو هارب • ولا يقال لماء الفم : رضاب إلا ما دام في الفم ، وإلا فهو بزاق • ولا يقال للشجاع : كميّ إلا إذا كان شاكي السلاح ، وإلا فهو بطل • ولا يقال للمرأة ظعينه إلا ما دامت راكبة في الهودج • هذا وقد اختلف اللغويون في اشتقاق المائدة ، فقال أبو عبيدة • واختاره الزمخشريّ : هي فاعلة بمعنى مفعولة ، مشتقة من : ماده أي أعطاه ، وامتاده بمعنى استعطاه ؛ فهي بمعنى مفعولة كعيشة راضية •

الاعراب :

(وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي) الواو حرف عطف ، والكلام معطوف على ما تقدم ، وجملة أوحيت في محل جر بالإضافة ، وأن مفسرة ، لأنها وردت بعد ما هو بمعنى القول دون حروفه ؛ وجملة آمنوا لا محل لها لأنها مفسرة (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) الجملة مستأنفة ، وجملة آمنا في محل نصب مقول القول ، والباء حرف جر وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بـ « اشهد » ، ومسلمون خبر أنّ (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم) الجملة مستأنفة لحكاية حال ماضية ؛ والظرف متعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، وجملة قال في محل جرّ بالإضافة ؛ والحواريون فاعل ، ويا حرف نداء ، وعيسى منادى مفرد علم مبني على الضم ، وابن بدل من « عيسى » على اللفظ أو على المعنى ؛ فيجوز ضم النون وفتحها ، كما سيأتي في باب الفوائد ؛ ومريم مضاف إليه (هل يستطيع ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء) الجملة في

محل نصب مقول القول ، وهل حرف استفهام ، ويستطيع ربك فعل مضارع وفاعل ، وأن ينزل أن المصدرية وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يستطيع ، ومائدة مفعول ينزل ، ومن السماء جار ومجرور متعلقان بينزل ، ولا بأس بأن يتعلقان بمحذوف صفة لمائدة (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان ما قاله لهم بصدد سؤالهم . وجملة اتقوا الله في محل نصب مقول القول ، وإن شرطية ، وكان واسمها وخبرها ، وكان فعل الشرط ، والجواب محذوف يفهم من سياق الكلام ، أي إن كنتم مؤمنين بقدرته تعالى وبصحة نبوتي فتجنبوا هذه السؤالات المتعنتة (قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئنّ قلوبنا) الكلام مستأنف مسوق لبيان ما قالوه تسويغاً لسؤالهم ، وجملة نريد في محل نصب مقول القول ، وأنْ وما في حيزها مصدر مؤول مفعول لنريد ، ومنها متعلقان بنأكل ، وتطمئن قلوبنا الجملة معطوفة على « أن نأكل منها » (ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين) الواو عاطفة ، ونعلم عطف على نأكل وتطمئن وتكون حجة لنا أمام الذين لم يشهدوها من بني إسرائيل ليزداد المؤمنون رسوخاً في الإيمان ، ويزول الشك من صدور الشاكّين والمرتابين ، ويؤمن الكافرون . وأنْ مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف ، وجملة قد صدقتنا خبرها ، ونكون عطف على نعلم ، واسم نكون مستتر تقديره نحن ، ومن الشاهدين متعلقان بمحذوف خبر نكون ، وعليها متعلقان بالشاهدين .

الفوائد :

إذا كان المنادى مفرداً علماً متبوعاً بـ « ابن » ولا فاصل بينهما

و « ابن » مضافاً الى علم جاز في المنادى وجهان : ضمه للبناء ونصبه لاتباع حركة « ابن » ، قال عمرو بن كلثوم :

بأي مشيئة عمرَو بن هند تطيع بنا الوشاةَ وتزدرينا

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

اللغة :

(عيداً) العيد : معروف ، وهو مشتق من العود ، لأنه يعود كل سنة . وإنما كسرت عينه لأن الواو وقعت بعد كسرة ، والأصل : عويد ، كميزان أصلها : موزان ، فقلبت الواو ياء لوقوعها بعد الكسرة .

الاعراب :

(قال عيسى بن مريم) كلام مستأنف مسوق لشروعه بالدعاء بعد أن تبيّن له صدقهم . وقال عيسى فعل وفاعل ، وابن بدل أو أو نعت ، ومريم مضاف إليه (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء)

اللهم أصله : يا الله ، فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم المشددة ، وقد تقدم بحثه . وربنا نداء ثان ، وأنزل فعل أمر للدعاء ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وعلينا متعلقان بأنزل ، ومائدة مفعول به ومن السماء متعلقان بمحذوف صفة لمائدة ، أو متعلقان بأنزل أيضاً . (تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك) جملة تكون صفة ثانية لمائدة ، أي : يكون يوم نزولها عيداً ، واسم تكون مستتر تقديره هي ، وعيداً خبر تكون ، ولنا متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة تقدمت على موصوفها ، وهو قوله : « عيداً » ، ولأولنا الجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل من « لنا » بتكرير العامل ، وآخرنا عطف على « أولنا » ، وآية عطف على « عيداً » ، ومنك متعلقان بمحذوف صفة لآية (وارزقنا وأنت خير الرازقين) الواو حرف عطف ، وارزقنا فعل أمر للدعاء ، وفاعله مستتر ، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، والواو استئنافية أو حالية ، وأنت مبتدأ ، وخير الرازقين خبر ، والجملة لا محل لها لأنها مستأنفة أو في محل نصب على الحال (قال الله : إني منزلها عليكم) كلام مستأنف مسوق لبيان استجابة الله لدعائه . وإني وما في حيزها في محل نصب مقول القول ، وإن واسمها ، ومنزلها خبر ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمنزلها لأنه اسم فاعل (فمن يكفر بعد منكم) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويكفر فعل الشرط ، وبعد ظرف قطع عن الإضافة لفظاً لا معنى فبني على الضم وهو متعلق بيكفر ، ومنكم متعلقان بمحذوف حال (فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) الفاء رابطة للجواب، وإن واسمها ، وجملة أعذبه خبرها ، وجملة إني أعذبه في محل جزم جواب الشرط ، وعذاباً مفعول مطلق وهو اسم مصدر بمعنى التعذيب ،

ولا نافية ، وأعذبه فعل مضارع ، والضمير في « أعذبه » الثانية ناب عن المفعول المطلق لأنه يعود عليه ، والتقـديـر فإني أعذبـه تعذيباً لا أعذب مثل ذلك التعذيب أحداً ، وأحداً مفعول به ، والجملة المنفية صفة لـ « عذاباً » ، ومن العالمين متعلقان بمحذوف صفة لـ « أحداً » . وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ « من » .

الفوائـد :

ينوب عن المصدر ثلاثة عشر شيئاً فتعطى حكمه وهي :

١ ـ اسم المصدر : أعطيتك عطاء .

٢ ـ صفته : اذكروا الله كثيراً .

٣ ـ ضميره العائد اليه : كالآية المتقدمة .

٤ ـ مرادفه : فرح جذلاً .

٥ ـ مصدر يلاقيه في الاشتقاق : أنبتكم نباتاً .

٦ ـ ما يدل على نوعه : رجع القهقرى ، وقول الأعشى :

غراء فرعـاء مصقول عوارضهـا
تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

٧ ـ ما يدل على آلته : ضربت اللص سوطاً .

٨ ـ أيّ الاستفهامية وكم الاستفهامية أو الخبرية نحو: «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » ، وقول المتنبي :

كم قد قتلت وكم قد متّ عنـدكم

ثـم انتفضت فـزال القبر والكفن

٩ ـــ ما يدل على عدده:«فاجلدوا كلّ واحد منهما مئة جلدة».

١٠ـــ ما ومهما وأي الشرطيات : ما تفعل أفعل ، ومهما تقف أقف وأي عمل تعمله تجاز عليه •

١١ـــ لفظا كل وبعض مضافين الى المصدر: «فلا تميلوا كل الميل» واجتهد بعض الاجتهاد •

١٢ ـــ اسم الاشارة مشاراً به إلى المصدر:اجتهدت ذلك الاجتهاد •

١٣ـــ أيّ الكمالية : وهي التي تدل على معنى الكمال إذا وقعت مضافة للمصدر ، نحو : اجتهدت أي اجتهاد • وإذا وقعت بعد النكرة كانت صفة لها ، كقول أبي العتاهية :

إنّ الشّباب والفراغ والجـدَه

مفسدةٌ للمـرءِ أيّ مفسده

فـ « أي » صفة لـ « مفسدة » ، وإذا وقعت بعد المعرفة كانت حالاً ، نحو : مررت بعبد الله أيَّ رجل •

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ

لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

الاعراب :

(وإذ قال الله : يا عيسى بن مريم) الواو حرف عطف ، والكلام منسوق على « إذ قال الحواريون » فالظرف متعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، وجملة قال الله في محل جر بالإضافة وجملة يا عيسى بن مريم في محل نصب مقول القول (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي

إلهين من دون الله) الهمزة للاستفهام ، وأنت مبتدأ ، وجملة قلت للناس خبر ، والجملة الاستفهامة مقول القول ، وجملة اتخذوني من فعل الأمر والفاعل والمفعول به في محل نصب مفول القول ، وأمي الواو للمعية أو العطف ، وأمي مفعول معه أو معطوف على الياء ، وإلهين مفعول به ثان لاتخذوني ، ومن دون الله متعلقان بمحذوف صفة لإلهين ، أي : كائنين من دونه تعالى ، ولا مانع من تعليقهما بمحذوف حال من فاعل اتخذوني ، أي : متجاوزين (قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) الجملة مستأنفة مسوقة للتبرؤ مما نسب إليه • وقال فعل ماض ، وسبحانك مفعول مطلق والجملة مقول القول ، وما نافية ويكون فعل مضارع ناقص ، ولي جار ومجرور متعلقـــان بمحذوف خبر يكون المقدم ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر اسم يكون المؤخر ، وجملة ما يكون لي استئنافية ، وجملة ليس لا محل لها لأنها صلة الموصول ، واسم ليس مستتر تقديره هو ، وبحق الباء حرف جر زائد ، وحق خبر ليس ، ولي متعلقان بمحذوف حال لأنه تقدم على موصوفه ، وما اسم موصول مفعول أقول لأنها متضمنة معنى الجملة وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحاً (إن كنت قلته فقد علمته) الجملة مستأنفة ، وإن شرطية ، وكنت فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها ، والفعل الناقص هو فعل الشرط ، وجملة « قلته » خبر كنت ، والفاء رابطة،وجملة قد علمته فيمحل جزم جواب الشرط الجازم،وعلمته فعل وفاعل ومفعول به (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) الجملة مستأنفة ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وفي نفسي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وجملة ولا أعلم ما في نفسك عطف على ما تقدم (إنك أنت علام الغيوب) إن واسمها ، وأنت

مبتدأ وعلام الغيوب خبر ، والجملة خبر « إن » ، أو « أنت » ضمير فعل ، وعلام خبر « إن » ، والجملة الاسمية خبر إن وجملة إنك وما بعدها لا محل لها لأنها تعليلية (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) ما نافية ، وقلت فعل وفاعل ، ولهم متعلقان بقلت ، وإلا أداة حصر ، وما اسم موصول مفعول قلت ، وجملة أمرتني به صلة الموصول (أن اعبدوا الله ربي وربكم) المصدر المؤول بدل من « ما » ، أو من الهاء في « به » ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هو » ، وجعلها بعضهم مفسرة ، وأكد أن عيسى عليه السلام نقل معنى كلام الله بهذه العبارة ، كأنه قال : ما قلت لهم شيئاً سوى قولك لي : قل لهم أن اعبدوا الله ربي وربكم • وربي بدل من الله أو صفة ، وسيأتي في باب الفوائد مزيد من إعراب هذا الكلام (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم) الواو حرف عطف ، وكان واسمها ، وشهيداً خبرها ، وعليهم متعلقان بـ « شهيداً » وما دمت فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها ، وفيهم متعلقان بمحذوف خبرها ، والظرف المنسبك من ما دمت متعلقان بـ « شهيداً » ، أي مدة دوامي مستقراً فيهم (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) الفاء استئنافية ، ولما حينية أو رابطة ؛ فهي ظرف أو حرف متضمن معنى الشرط ، وجملة توفيتني في محل جرّ بالإضافة أو لا محل لها ، وتوفيتني فعل وفاعل ومفعول به ، أي : أخذتني أخذاً وافياً بالرفع إلى السماء ، وهو الأصل في معنى الوفاة ، وجملة كنت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وكان واسمها ، وأنت ضمير منفصل في محل رفع تأكيد للضمير في كنت ، ولك أن تعربه ضمير منفصل لا محل له ، والرقيب خبر كنت ، وعليهم متعلقان بالرقيب ، والواو استئنافية أو حالية ، وأنت مبتدأ ، وشهيد خبر ،

وعلى كل شيء متعلقان بشهيد (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيـم) إن شرطية وتعذبهم فعـل الشرط والهاء مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط والجملة المقترنة بالفاء في محل جزمجواب الشرط وإنواسمهاوخبرها والجملة الشرطيةمستأنفة مسوقة عـلى وجه الاستعطاف ولهذا لم يقل إن تعذبهم فإنهم عصوك (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) كلام مستأنف مسوق لاختتام ما بدأ الحديث به عندما قال : يوم يجمع الله الرسل ، وجملة الاشارة في محل نصب مقول القول وهذامبتدأويوم خبروجملة ينفع في محل جربالاضافة ، والصادقين مفعول به مقدم ، وصدقهم فاعل مؤخر (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان النفع المذكور ، ولهم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وجنات مبتدأ مؤخر ، وجملة تجري صفة لجنات ، ومن تحتها متعلقان بتجري ، والأنهار فاعل ، وخالدين حال ، وأبداً ظرف زمان متعلق بخالدين (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) الجملة دعائية معترضة لامحل لها، وجملة ورضوا عنه عطف عليها ، وذلك مبتدأ ، والفوز خبر ، والعظيم صفة (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) الجملة مستأنفة مسوقة لتحقيق الحق ، ولله متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر ، والواو عاطفة ، وما اسم موصول معطوف عـلى ملك ، وفيهن متعلقـان بمحذوف صلة الموصول ، وأتى بـ « ما » تغليباً لغير العاقل لأنه أدل على العظمة ، وهو مبتدأ ، وقدير خبره ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير •

البلاغـة :

في قوله : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت

العزيز الحكيم » فن من فنون البلاغة ، منقطع النظير ، صعب الإدراك ، يحتاج المتأمل فيه الى الكثير من رهافة الحس ، وشفوف الطبع . ويسمى فن التخيير . وحدّده علماء البلاغة بأن يأتي الشاعر أو الناثر بفصل من الكلام أو بيت من الشعر يسوغ أن يقفّى بقواف شتى فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها ، ويستدل بإيثاره إياها على حسن اختياره وصدق حسه ، وقد تقضي البداهة الأولى بأن تكون غير ما اختاره ، ولكنه عزف عن ذلك لسر دقيق كقول أحدهم :

إنّ الغريب الطويل الذّيل ممتهن
فكيف حال غريب ما له قوت

فإنه يسوغ أن يقول : ما له نشب ، أو ما له سيد ، أو ما له أحد . وإذا نظرت الى ما قاله وهو : « ماله قوت » وجدتها أبلغ من الجميع ، وأدلّ على الفاقة والعوز ، وأمسّ بذكر الحاجة ، وأشجى للقلوب ، وأدعى للاستعطاف . فذلك رجحت على ما سواها .

القول في الآية :

ونعود بعد هذا التعريف السريع لهذا الفن الى الآية التي نحن بصددها فنقول : إن البداهة البدائية تقضي بأن تكون الفاصلة : « إنك أنت الغفور الرحيم » لملاءمتها لقوله : « إن تغفر » ولمناسبته ما بين الغفران والغفور ، ولكنّ هذا الوهم الناجم عن هذه البداهة سرعان ما يزول أثره عندما يذكر المتوهم أن هؤلاء قد استحقوا العذاب دون الغفران ، فيجب أن تكون الفاصلة : « العزيز الحكيم » إذ لو

جاءت « الغفور الرحيم » بعد ذكر الغفران ــ وهو لا يغفر لهم ــ فوجب أن تكون الفاصلة كما وردت ، لأن الله سبحانه ممتنع عن القهر والمعارضة ، والعزيز هو الممتنع ، ولا بد من أن يصف نفسه بعد وصفه بالعزة بالحكمة ، لأنه الحكيم الذي يضع كل شيء موضعه .

طرفة الأصمعي :

وقد مرت معنا في السابق طرفة الأصمعي ، وهي ما ذكره أنه كان يقرأ يوماً فقرأ : « والسارقُ والسارقة فاقطعوا أيديَهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم » وكان يسمعه أعرابي ، فاعترضه وغلّطه ، فراجع الأصمعي الآية، فإذا بها « والله عزيز حكيم »، فقال للأعرابيّ : كيف عرفت ذلك ؟ فقال : يا هذا عزّ فحكم فقطع ، ولو غفر ورحم لما قطع . فدهش الأصمعي وأفحم .

وخفي هذا السر على أبي حيان :

وقد خفي سرّ هذا الفن على أبي حيان ــ على جلالة قدره ــ فقال في « البحر » محاولاً تعليل الاعتراض ما نصه : « وقال أبو بكر ابن الأنباري : وقد طعن على القرآن من قال : إن قوله : « فإنك أنت العزيز الحكيم » لا يناسب قولــه : « وإن تغفر لهم » لأن المناسب « فإنك أنت الغفور الرحيم » . والجواب أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله تعالى ، ومتى نقل الى ما قاله هذا الطاعن ضعف معناه ، فإن ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني ولا يكون له بالشرط الأول تعلّق . وهو ما أنزله الله تعالى وأجمع على قراءته المسلمون » . ونقول : ولو

عرف أبو حيّان هذا الفنّ لأجاب بما قدّمناه ، ولم ينكلّف الأجوبة البعيدة .

الفوائد :

١ ـ بين ابن هشام والزمخشريّ :

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب ما يلي : « وذكر الزمخشري في قوله تعالى : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله » أنه يجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر ، أي : ما أمرتهم إلا بما أمرتني أن اعبدوا الله ، وهو حسن . وعلى هذا فيقال في الضابط : أن يكون فيها حروف القول إلا والقول مؤوّل بغيره ، ولا يجوز في الآية أن تكون مفسرة لأمرتني ، لأنه لا يصح أن يقال : اعبدوا الله ربي وربكم مقولاً لله تعالى ، فلا يصح أن تكون مفسرة لأمره لأن المفسر عين تفسيره .

عبارة ابن يعيش :

وعبارة ابن يعيش : ف « أن » بمعنى « أي » ، وهو تفسير « ما أمرتني به » ، لأن الأمر في معنى القول ، ولأن هذه إذا كانت تفسيراً ثلاث شرائط :

١ ــ أولها أن يكون الفعل الذي تفسره وتعبر عنه فيه معنى القول وليس بقول .

٢ ـ والثاني أن لا يتصل بـ « أن » شيء من صلة الفعل الذي تفسره ، لأنه إذا اتصل بها شيء من ذلك صارت جملته ، ولم تكن تفسيراً له ، وذلك نحو : أوعزت إليه بأن قم ، وكتبت إليه بأن قم ، لأن الباء هاهنا متعلقة بالفعل ، وإذا كانت متعلقة به صارت من جملته ، والتفسير إنما يكون بجملة غير الأولى .

٣ ـ والثالث أن يكون ما قبلها كلاماً تاماً لما ذكرناه من أنها وما بعدها جملة مفسرة جملة قبلها ، ولذلك قالوا في قوله تعالى : « أن الحمد لله رب العالمين » أنّ « أن » فيه مخففة من الثقيلة، والمعنى: أنه الحمد لله ، ولا يكون تفسيراً لأنه ليس ما قبلها جملة تامة ، ألا ترى أنك لو وقفت على قوله : « وآخر دعواهم » لم يكن كلاماً » .

قلت : ولهذا جنحنا الى ما اخترناه في إعرابها مصدرية تفادياً للوقوع في هذه المزالق .

٢ ـ إذا وقعت « ما » قبل « ليس » أو « لم » أو « لا » أو بعد « إلاّ » فهي موصولة ، وإذا وقعت بعد كاف التشبيه فهي مصدرية ، وإذا وقعت بعد الباء فهي تحتملهما ، وإذا وقعت بين فعلين والأول علم أو دراية أو نظر احتملت الموصولية والاستفهامية .

٣ ـ كل ما كان من أسماء الزمان مبهماً لما مضى تجوز إضافته الى الجملة ، فإن كان ما بعده مبنياً فالبناء على الفتح أرجح للتناسب ، قال النابغة :

على حين عاتبت المشيب علـى الصبا

وقلت : ألمّا أصح والشيـب وازع

يروى « على حينِ » بالجر على الإعراب ،و « على حينَ » بالبناء على الفتح ، وهو الأرجح . وإن كان ما بعده فعـلاً معرباً أو جملة اسمية فالإعراب أرجح كما ورد في الآية : « هذا يوم ينفع » .